
العدد ٢٣٩
الرسالة

6 me Année, No . 239

Lundi - 31 - 1 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العــــدد ٢٣٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ ذى القعدة سنة ١٣٥٦ — ٣١ يناير سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهــــرس

من مشاهد المهرجان

كنت أمشى فى شارع إبراهيم عصر يوم الأحد الرابع من أيام الزفاف الملكى السعيد ، ونظرى وفكرى يتبعان فلول الزوار وهم يسيرون زُمراً فى باحة الطريق يلقون أنظارهم الطائرة على بقايا الزينة من أقواس وأعلام ، وينفقون قروشهم الأخيرة فى مغريات النفس من شراب وطعام ؛ وكان الملايين الثلاثة الذين ساهموا بآمالهم وأموالهم فى زفاف الفاروق قد انتشروا فى ميادين القاهرة وفنادقها وحدائقها ثم تركوها أشبه بمروج الربيع نفشت فيها قطعان الشاء فجعلتها كالصريم ؛ ولكن هذه الأفواه الفرحة التى لم تفتر عن الضحك والهتاف ، أو عن المضغ والارتشاف ، قد أفعمت جيوب القاهرة مالاً وغمرت جنوبها بهجة . فكان منظر هذه الشراذم المتخلفة وهم يودعون مجالى العُرس والأنس يبعث فى النفوس شعور الأسف على انقضاء فترة من فترات الجنة اجتمعت فيها القلوب على السرور المصفى والوداد المحض

كنت أقول لنفسى وأنا أسير الهوينى فى غمر من الصفاء استفاض على أوجه الناس حتى شاع حولهم فى النسيم وشعَّ فوقهم فى الأفق : متى يتاح لسلائل الطين أن ينزعوا من صدورهم الجشع والأثرة فيعيشوا كما عاشوا فى هذه الأيام حُشْداً على الخير عكفاً على الجمال خلّصاً على المودة ، ولهم على الله هواء يفعم كل رئة ،

ظلال الحب عيش الملوك ، فعرفت أنهم يحسنون ما لا أحسن من فن الغرام ، وللغرام فنون

ولكن أين أذهب ؟ لقد ضاع حظى فى كلية الآداب ، فهل أذهب إلى كلية العلوم؟ وكيف وهى أيضا من السوربون ؟ فلم يبق إلا أن أذهب إلى كلية الطب لأقيم فيها تجارب الحب من جديد ، بعيداً عن جو الأراجيف الذى خلقتـه خلقاً بفضل الغفلة والجهل

وكانت فرصة عرفت فيها قيمة الشر فى خَـلْق الرجال . فلولا الحب ما عرفت كلية الطب ؛ ولولا الطب ما شرفتنى الحكومة المصرية بمداواة ليلى المريضة فى العراق

أقول إنى ذهبت إلى كلية الطب بعد أن صقلتنى التجارب ، وبعد أن عرفت أن من العيب أن أخيب فى باريس وأنا شاعر سنتريس ؛ فلم تمض أيام حتى كنت فى تلك الكلية فتى الفتيان . وبيان ذلك أنى كنت أخفى عواطفى كل الإخفاء ، فكنت ألقى الفتاة فلا أحدثها عن عينيها وخديها وشفتيها ونهديها — وما أجمل نهود الفتيات فى باريس ! — وإنما كنت أسارع فأتحدث عن حدائق الحيوانات فى القاهرة وأقول إنها أجمل ما يعرف العالم من حدائق الحيوان . فان اعترضت إحدى الفتيات وفضلت حدائق الحيوان فى لندن تحمست وقلت إن هذا مستحيل ، لأن مصر هى البلد الوحيد الذى يطيب فيه العيش لأنواع الحيوان !

وما كنت أكتفي بهذا ، بل كنت أخترع أسماء وهمية للباحثين والمفكرين ، فكنت أقول إن بلدنا هو الذى نبغ فيه فلان وهى أسماء تحلّي بها بعد ذلك بعض الناس !

وفى أثناء تلك الأحاديث الوهمية تجول عيناي فى أعطاف الفريسة الحسناء ، فان بدا لها أن تعترض على ما تقول عيناى ، أنكرت ماتقول عيناى : وهل كنت مسئولا عما تقوله عيناى ؟ وما هى لغة العيون ؟ وهل للعيون لغة ؟ إنْ هذا إلا اختلاق !

وما زلت أوغل فى المداهنة والنفاق حتى تقدمت إحدى الفتيات وقالت : ما أجمل عينيك يا مسيو مبارك ! فتكلفت الغضب وقلت : أنا أكره المزاح ! فطوقتنى بذراعيها وقالت : أنا أحب الشبان العقلاء ! فقلت : وأنا أحب المجانين من الفتيات ! وكانت لحظة ستنصب لها الموازين يوم يقوم الحساب !

* * *

وفى ظلال هذا الروح الطيب مضيت لعيادة ليلى ، وقد صممت على الخوض فى أحاديث لا تتصل بالحب . وما قيمة التجارب إن لم تنفع وأنا فى ديار الاغتراب ؟

دخلت على ليلى فى ليلة مطيرة غاب فيها القمر وغابت النجوم ، فتفضلت حرسها الله ومدت يديها الناعمتين لمعاونتى على دَرَج السلالم ، فشعرت كأن خيوطاً من نور تجذبنى إلى العِـلِّية ، وقد تكلفت التعب والضعف لأرى كيف تجذبنى تلك الأنامل الرقاق . وكانت لحظة سحرية لا يعرفها إلا من أسدلت عليه الستائر فى ليلة قمراء بالقصر الذى يعرفه القلب فى الشارع رقم .. بالضاحية ... إحدى ضواحى القاهرة الفيحاء

رباه ! إن القاهرة نعمة من نعمك على عبادك ، فاجعلها عامرة أبد الآبدين ، واجعلها إلى يوم القيامة عروس الشعر والخيال ، بل احفظها واجعلها شقيقة الفردوس يوم يلقى المخلصون جزاء ما يعملون ! رباه ! إن القاهرة هى الشاهد على أن اللغة العربية خليقة بالسيطرة فى عالم العلم والمدنية . رباه ! إن القاهرة من أجمل ما خلقت من المدائن فاجعلها كنانتك واحفظها من السوء حتى أعيش فيها عيش السعداء ، وحتى يعيش فيها أبنائى وأحفادى وأحفاد أحفادى عيش النَّضرة والنعيم ، على وفاق وسلام مع جميع الأقطار العربية

* * *

كانت ليلى فى زينتها ، وكنت فى عقلى !

وكان فى نيتى أن أثير الجدل حول « قضية الأخلاق » التى اشتجرت فيها أقلام الحولى وعزام والزيات ؛ وكنت أنوى أن أقرر أن المنافقين ينجحون باسم الأخلاق ، فكيف لا ينجح بها الصادقون ؟ وكنت أحب أن أقول أيضاً إن الثورة على الأخلاق كالثورة على الدين ، فالذين يثورون على الدين لا يبغضونه من حيث جوهره ، وإنما يحاربون الأبالسة الذين يسترون سوآتهم بتكلف الغيرة على الدين . وكذلك يثور على الأخلاق من يؤذيهم أن يغار المنافقون على الأخلاق . وكان من شهوة النفس أن أعلن فى حضرة ليلى أن أهل البلادة يسترون تخلفهم بالأخلاق ، فاذا رأوا رجلا قوىّ القلب مُشرق العبقرية ، أسرعوا فاتهموه بضعف الأخلاق لينفض الناس من حوله ويخلو لهم الميدان . ومن أجل

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ٨ —

... ومضيت أعود ليلى مرة ثانية ، بعد أن قبّلت الصورة التى أدفع بها وحشة الليل فى بغداد ، وبعد أن قرأت الرسائل المعطرة التى وردت من مدينة ... وكذلك أعددت قلبى للرفق واللطف ، وأنا في عالم الطب كالبلبل فى عالم الأغاريد ، لا أطرب إلا بعد مناجاة الأحلام ، ولا يطرب إلا بعد أن تضوع من حوله أرواح الأزهار . فهل تعرف معنى ذلك تلك الانسانة التى بلغ بها العناد أن تصرح بأنها لن تفتضح في حبى إلا يوم يظهر أنها دفعتنى إلى الخلود ؟ رباه ! ماأصعب تكاليف الخلود ! ولكن كيف ألقى ليلاى ؟

إننى أخافها أشد الخوف ؛ فقد بدت لى فى المرة الماضية على جانب من الوعورة ، ولا يبعد عندى أن تكون حمقاء ، فان الجمال يورث أهله بعض خصال النزق والطيش ؛ وأنا والله على استعداد لمقابلة الشر بالشر ، فان رمتنى بالحمق رميتها بالجنون ، ولكنّ ذلك لا يقع بدون جزاء ، فقد تفسد العلائق بين مصر والعراق

فراقك صعب ، سيدى ! كذلك قالت ليلى منذ ليال

فما الذى يمنع من الأدب ؟ وهل كُتب علىّ أن أظل دهرى شقيًّا لا أعرف غير الرجس ؟ مالى لا أجرب الحب العذرى مرة واحدة في حياتى ؟ مالى أحرم قلبى أطايب العفاف ؟ آمنت بالله ! وهل كنت فاسقاً حتى أفوه بمثل هذا القول ؟

إنك يا ربي تعلم كيف ابتدأت وكيف انتهيت . انك يا ربى تعلم أنى أشرف مخلوق سوّته يمناك ، مع استثناء الأنبياء ؛ ولكنى طبيب جنى عليه الأدب فسار فى بقاع الأرض أنه من الفاسقين

***

كيف ألقى ليلى ؟ تلك هى النقطة ، كما يقول لافونتين !

ألقاها بالتجارب التى أفدتها فى باريس ، فقد وردت مدينة النور أول مرة فى سنة ١٩٢٧ وكنت سمعت أنها مدينة تموج بالهوى والفُتون ، فكان أكبر همى أن أعيش فيها عيش المجانين بعد أن عانيت الأمرّين من عيش الجفاف فى شارع الجزاوى وعطفة الجمالية !

ودخلت السربون ، سقاها الغيث وجعل الله لها لسان صدق فى الآخرين ، فكانت عيني لا تقع على الأساتذة ، وإنما كانت تقع على الطالبات ، وهنّ فى دروس الأدب أكثر من الطلاب . والفتيات هناك يفهمن وحى العيون ، وكان يتفق أن تلقانى فتاة بعد المحاضرة فتقول : من فضلك ياسيد ، هل عندك مذكرات عن دروس المسيو شامار ؟ فأجيب : نعم ، ياآنستى ! فتقول : هل تتفضل فتعيرنى إياها لأنسخها ثم أردها إليك ؟ فأقول : وهل لمثلى أن يرفض ما تطلب هاتان العينان ! فتنظر الفتاة إلىّ نظرة سخرية وتنصرف !

وحدث مرة أن قالت لى فتاة ريًّا الجسم كأنها من دمياط : هل لك يا سيد أن تتفضل فتعيرنى مذكراتك عن دروس المسيو مورنيه ؟ فقلت : لك ذلك ياآنستى ، ولكنى لن أعود إلى السوربون إلا بعد يومين . فهل أستطيع أن أراكِ غداً عندى فى الساعة الخامسة لأقدم إليك المذكرات ؟ فأجابت بالقبول بعد أن استفهمتْ عن اسم الشارع ورقم البيت

وما كاد يحين الموعد حتى كانت المائدة مجهزة بأطيب ما تعرف فرنسا من ألوان الشراب . ثم مضت ثوانٍ ودقائق وساعات ، ولم تحضر الفتاة ، عليها وعلى أمها اللعنات !

وفى ذات يوم قالت إحدى زميلاتى فى الدرس إنها تجيد الرقص ، فقلت إنى لاأحسن منه غير « الحنجلة » ، ورجوتها أن تعينني على إتقان ذلك الفن الجميل ، فأجابت جواباً كله إغراء .

ولكننى اشترطت أن يكون ذلك فى غرفتى حتى لا يعرف أهل باريس أنني رجل « غشيم »

وانتظرت ، ثم انتظرت ، ثم انتظرت ، ولم تحضر الراقصة الحسناء !

ولم تمض أسابيع حتى شاع فى جميع أروقة السوربون أنى فتى ماجن خليع ، فكنت ألقى أطيب التحيات ولا يجيبنى مجيب . والشيطان يشهد أنى كنت فى ذلك المهد أعظم مغفل عرفته باريس

ونظرت فرأيت فتياناً أقل منى فتوّة وجاذبية يعيشون فى

هذا كان من النادر أن يمر بهذه الدنيا رجل عظيم بدون أن تطول في تجريحه ألسنة المتخلفين والمنافقين . وهل سلم الأنبياء من ألسنة الناس ؟

كان في نيتي أن أصول وأجول في حضرة ليلى ، فأعظم لذة في الدنيا أن يعذب لسانك ، وتقوى حجتك ، في حضرة امرأة حسناء . والكلام في هذا الموضوع يسهل عليّ بفضل ما أضعت من العمر في دراسة علم النفس وعلم الأخلاق ، وبفضل ما ابتلاني الدهر من معاشرة أهل الرياء

ولكن ليلى ابتدرتني وقالت :

هل قرأت العدد الأخير من مجلة الرسالة ؟

وما كادت شفتاها تفصحان عن هذا السؤال حتى كاد قلبي ينخلع ، فقد تذكرت أنني رجعت عن عزيمتي في طيّ هذه المذكرات وأرسلتها جميعاً إلى الزيات . وهل أخاف ليلى أكثر مما أخاف سعادة الأستاذ محمد العشماوي بك الذي أوصاني بالاعتصام بالعقل يوم سفري إلى العراق ؟ وما وجه الخوف ؟ إن مذكراتي بريئة من العبث ، وأنا أعيش في بغداد عيش النساك ، وإن لم يكن لي فضل في هذا التنسك ، فإن الحفلة التي كرمني بها أدباء بغداد جعلتني ممن يشار إليهم بالبنان ، ولم يبق من ميادين الهزل غير تذكر الأحلام القديمة ، أحلام القاهرة وباريس

ثم تشجعت فقلت : ماذا في مجلة الرسالة ؟

فقالت : إن الأستاذ سعيد العريان يتحداك

فبلعت ريقي ، وحمدت الله . وهل يؤذيني أن يتحداني كاتب من الكتاب ؟ يرحم الله الأيام الماضية حين كان الأدباء يتهيبون المرور في طريقي ، وحين كانت مقالاتي في جريدة البلاغ كالسيف المصلت على رقاب الكتاب والشعراء والمؤلفين . يرحم الله الأيام الماضية حين كان أعاظم الرجال يسرهم ويشرفهم أن أهجم عليهم في جريدة البلاغ . ولكن وا أسفاه ! أنا اليوم أعيش في قفصين من الفولاذ . وهل كان الدكتور طه حسين يمزح حين قال : تذكر يا صديقي أنك أصبحت موظفاً في حكومتين ، وأن مركزك دقيق ؟

***

لقد قرأت كلمة الأديب العريان ، ولكن لا بد من التجاهل لتعيدها ليلى على مسمعي ، فإن الهجوم عليّ يعذُب ويطيب حين أسمعه من ليلى . وهل كانت رخامة الصوت إلا عند ليلى ، ليلى التي زعموا أنها مريضة في العراق ، مع أن في صوتها من الحلاوة ما يهد رواسي الجبال ؟

وقرأت ليلى :

« ولقد سرني والله أن تُعنى وأنت في العراق بدفع تهمة العقوق عن أدباء مصر ؛ وإنها لعاطفة وطنية نبيلة أعرف كل العرفان ما يدفعك إليها وأنت بعيد »

— أعيدي يا ليلى

— ولماذا ؟

— أعيدي يا ليلى ، ففي مصر إنسان يشهد بأني أعرف معنى الوطنية ! وهل كنت في حاجة إلى من يشهد لي بصدق الوطنية ؟ عشنا وشُفنا !

— ولكنه يتهمك بعد ذلك بمصانعة أهل العراق !

— أنا أصانع أهل العراق ؟ وهل صانعت أهل مصر حتى أصانع أهل العراق ؟ لقد جنت عليّ الشجاعة ما جنتْ فلم أتهيّب ولم أتوجع ، وتركت الجبناء يتمتعون بمناصب كنت بها أحق ، فكيف جاز لأديب مصري أن يتهمني بالمصانعة في معاملة أهل العراق ؟

إسمعي يا ليلى . إن هذا الأديب نسي أن مجلة « الرسالة » لها في العراق قراء يعدون بالألوف ، ونسي أن كلمته قد تؤذيني ، وهذا الأديب الطيب القلب نسي أيضاً أن أهل العراق لن ينتظروا شهادته في عبقرية زكي مبارك ، ونسي كذلك أنني لا أحتاج إلى أسناد يتفضل بها كاتب يجعل الرافعي إمام الأدباء . فأنا أعيش في مصر والعراق بفضل الله وبفضل عزيمتي ، وإن كنت لا أنكر أن في مصر إخواناً كراماً يجعلون سيرتي مسك الختام في كل حديث

إسمعي يا ليلى . إن أدباء مصر لا يعرفون عواقب ما يكتبون . أليس من البلاء أن أنفق أوقات الفراغ في الدفاع عن مصر والمصريين ؟ أليس من البلاء أن يكون من واجبي أن أتنقل في الأندية والمجتمعات لأصحح الأغلاط التي ارتكبها الكتاب المصريون ؟ إن مصر ليس لها مطامع في العراق ، ولكن ما الموجب لحرمان مصر من مودة أهل العراق ؟ إن العراقيين يروننا إخوانهم

أهلاً وسهلاً ! فبأى حق يستبيح ناس فى مصر أن يفوهوا بكلمات ينفر منها أدباء العراق ؟

إن مصر تنفق ألوف الدنانير لتؤسس صداقات ومودات فى الأقطار الأوربية والأمريكية ، فكيف يغيب عنها أن تنفق الكلمات الطيبات لتؤيد ما يربطها من العلائق بالأقطار العربية ؟

هل يعلم أدباء مصر — ولا سيما أعدائى — أنى أدفع عنهم السوء فى العراق ؟

إسمعى يا ليلى . إن أهل بلدكم يقولون إن زكى مبارك لا يزال يحافظ على مصريته . وهذا حق ، ولكننى أتشبث بمصر فى سبيل اللغة العربية ، فاللغة العربية هى الرباط الوثيق الذى سيكون فى المستقبل أساس ما سيعرف الشرق العربى من قوة البنيان

***

وكنت وصلت إلى حد من التأثر انزعجت له ليلى . فقالت : هوّن عليك يا صديقى !

فنظرت إليها نظرة الطفل المكروب إلى أمه الرءوم ثم قلت : ليلى ، إنها سنة واحدة أقضيها فى العراق !

فقالت وهى تتنهد : ستبقى عندنا طول حياتك .

فأجبت : على شرط أن تعفونى من هفوات الكتاب المصريين الذين أحمل جرائرهم صباح مساء

فقالت ليلى : وعلى شرط أن تنسى مصر الجديدة والزمالك !

فقلت : ذلك إليك يا ليلى !

فصوبت إلى عينين عاتبتين ، فعرفت أنها تبغض التشبيب

ما أجمل ليلى حين تعتب بعينيها ! إن ليلى جميلة يا بنى آدم ، وإنها لخليقة بأن تنسينى من فى مصر الجديدة ومن فى الزمالك ، إن جاز لقلب مثل قلبى أن يعرف العقوق

— ليلى !

— نعم يا مولاى !

— ليلاى !

— لست ليلاك !

— معذرة يا ليلى ، فأنا طبيب جنى عليه الأدب . وهذه عبارة شعرية سبقت إلى اللسان

— ماذا تريد أن تقول ؟

— أريد أن أقول ... أريد أن أقول إنى سأعيش فى بلدكم سنة واحدة ، أعنى أننى سأفارقك بعد أشهر معدودات

— هذا وعيد ؟

— لن أعيش فى بلدكم إلا إذا عينتنى الحكومة المصرية واعظاً فى بغداد

— واعظ ؟ ما هذا الكلام ؟ هل جننت ؟

(وقد انتشيت من هذه العبارة لأن المرأة الجميلة لا تصف الرجل بالجنون إلا إذا ارتفع بينه وبينها التكليف)

— ما جننت ، وإنما أقول إن المصريين والعراقيين يحتاجون إلى من يرعى العلائق بين البلدين فلا ينشر خبر فى جرائد العراق عن مصر ، ولا ينشر خبر فى جرائد مصر عن العراق ، إلا بعد أن يمر على رجل حكيم يفهم عواقب ما تنشر الجرائد والمجلات

— وأنت ذلك الرجل الحكيم ؟ آمنت بالله !

— إسمعى يا ليلى . إن المحررين فى الصحف يحتاجون إلى لجام من العقل والذوق

— دع هذا ، وحدثنى عما تعرف من أسرار ليلى المريضة فى لبنان

— تريدين (فلانة) التى قيل إنها كانت تحب الرافعى ؟

— نعم ! وهذه أهم نقطة تعنينى فى كلمة الأديب العريان

— وأنا أريد أن أمن على مصر وأدباء مصر فأقول إنى قضيت فى بغداد سنة كسبت لوطنى فيها ألوفا من الأصدقاء

— أنت تمن على وطنك ، والمن على الوطن لا يليق بكرام الرجال

— وماذا أصنع إذا كان وطنى لا يعرف غير من يمنون عليه ؟ ! وهل يعرف وطنى أنى أكتب فى كل أسبوع أكثر من تسعين صفحة وأشتغل أكثر من سبع عشرة ساعة فى كل يوم ؟ هل يعرف وطنى أنى أهتم بالمصريين المقيمين فى العراق أكثر مما أهتم بنفسى ؟ هل يعرف وطنى أنى أزور كلية الحقوق مرتين فى كل يوم لأطمئن على صحة الدكاترة عزمى وفهمى وسيف؟

— ومن هؤلاء ؟

— هم أساتذة فى القانون لا فى الطب ، وهم من أبناء القرن التاسع عشر

« وكانت غلطة فظيعة ، فإنه لا ينبغى أن تعرف ليلى من

المصريين أحداً سواى »

— حدثنى عن ليلى المريضة فى لبنان

— كانت ليلى المريضة في لبنان زميلتى فى الدرس يوم كنا طالبين فى الجامعة المصرية ؛ وكنت أتقرب إلى قلبها باغتياب الأساتذة ، فأزعم أن الكونت دى جلارزا لا يفهم الفلسفة ، وأن الشيخ المهدى لا يعرف أسرار الأدب ، وأن الشيخ الخضرى لا يدرك حقائق التاريخ ، وأن اسماعيل بك رأفت يجهل الجغرافيا ووصف الشعوب !

— يظهر أنها طالبة شقية !

— كانت أشقى من ليلى المريضة في دمياط

— أنا لا يهمنى إلا الوقوف على أسرار ليلى المريضة فى لبنان

— إنتظرى ، إنتظرى ، إن الله مع الصابرين

« للحديث بقية وبقية » زكى مبارك

ظفر المكيافيلية

وإلام يدفع العالم هذا الظفر ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لما وضع المؤرخ والفيلسوف السياسي نيكولو ما كيافلى ، كتابه « الأمير » فى سنة ١٥١٣ متضمناً لمذهبه الشهور فى الحكم والسياسة ، لم يكن يتوقع أن يغدو كتابه بعد أربعة قرون إنجيلاً لنوع جديد من الحكم يحاول اليوم أن يفرض مبادئه على العالم ، ولم يكن يتوقع بالأخص أن تغدو آراؤه السياسية نبراساً لإيطاليا الجديدة يدفعها إلى طريق السلطان والقوة ، أو يتصور أن هذه الآراء قد تغدو يوماً مثار حرب عالمية طاحنة بين المبادئ السياسية والاجتماعية الخصيمة . ذلك أن مكيافيلى كتب كتابه فى عصر كانت إيطاليا تنقسم فيه إلى عدة جمهوريات وإمارات صغيرة ، ينافس ويقاتل بعضها بعضا ، وتتقلب إماراتها ورياساتها بين عصبة من الزعماء والمتغلبين ؛ واستوحى معظم آرائه من دراسته لأحوال هذه الدويلات الصغيرة ، وهذا الرهط من الأمراء المتنازعين ، واتخذ أميره الأمثل من رجال من طراز هذا العصر شقوا طريقهم إلى السلطان والملك بوسائل مثيرة من العنف والخيانة والغدر ؛ وكان أقصى أمانيه حينما وضع « الأمير » ، وأهداه إلى أميره وحاميه لورنزو دى مديتشى أمير فلورنس ، أن يكون كتابه مرشداً لأمراء عصره فى تفهم أساليب الحكم التى تلائم روح العصر ، وتلائم مطامع الزعامات المحلية التى كانت تضطرم يومئذ فى دائرة محدودة ، قوامها عدة من الولايات والمدن الإيطالية .

كانت المكيافيلية إذن شعار عصر خاص ومجتمع خاص ؛ وكان طابعها القاتم ، وما انطوت عليه من المبادئ العنيفة التى لا ضمير لها ولا وازع ، والتى تغاضت عن كل المثل الإنسانية والأخلاقية ، يسبغ عليها دائماً فى نظر المجتمعات الرفيعة لوناً من الشذوذ البغيض الذى تأباه السياسة المستنيرة . ومن ثم كانت الفلسفة المكيافيلية على كر العصور مضرب الأمثال للسياسة البغيضة .

وليس من موضوعنا أن نتبسط فى شرح المكيافيلية وأصولها ، ولكنا نورد من أقوال واضعها هاتين الفقرتين اللتين تتضمنان لب النظرية المكيافيلية فى الحكم والسياسة :

١ — « لا يستطيع الأمير العاقل وليس عليه أن يحفظ العهد ؛ إذا كان مثل هذا الوفاء قد ينقلب ضده ، وإذا زالت الأسباب التى حملته على قطعه

٢ — « ليس من الضرورى أن يتصف الأمير بالخلال الحسنة التى ذكرتها ، ولكن من الضرورى أن يبدو كأنه متصف بها .. ولا يستطيع الأمير ، ولا سيما الأمير الجديد ، أن يراعى كل الأمور التى يقدر الناس من أجلها لأنه كثيراً ما يرغم لكى يحفظ الدولة على أن يتصرف بغير ما يقضى به الإخلاص والصداقة والإنسانية والدين ، وإذاً فمن الضرورى أن يكون ذهنه متأهباً للعمل وفقاً لتقلب الريح والجدود »

هذا هو لب النظرية المكيافيلية فى الحكم . ويكفى أن نقرأ كلمة « الدولة » مكان كلمة « الأمير » لنسبغ على هذه النظرية طابعها الحديث ؛ وفى التاريخ كثير من الأمراء والطغاة الذين حكموا قبل مكيافيلى بنفس الروح والوسائل التى نادى بها مكيافيلى ، وفيه كثير من الأمراء والساسة المحدثين الذين

أنجبوا بمبادئ مكياڤيلي وطبقوها في عصور تعتبر فيها هذه المبادئ من ألوان الغدر السياسي والاجتماعي الذي يصم الدولة المتمدنة ؛ وما زالت المكيافيلية إلى يومنا محكوماً عليها ، ومازالت تعبر دائماً منافية لجميع المبادئ الحرة والإنسانية التي تقوم عليها المدنية الحديثة

على أن هذه الحقيقة التاريخية القديمة تختفي اليوم شيئاً فشيئاً ؛ فلم تعد المكيافيلية في عصرنا فلسفة سياسية منبوذة ، ولكنها تغدو بالعكس حقيقة واقعة تطبقها وتؤمن بها دول عظيمة . ذلك أن الفاشستية الإيطالية والأنظمة الطاغية المماثلة الأخرى تقوم في جوهرها على الفلسفة المكيافيلية ؛ وقد أسبغت وسائلها وأساليبها على نظريات فليافيلي شرعية جديدة ، وغدت هذه النظريات اليوم أساسا لنوع جديد من الحكم والسياسة تقوم عليه عدة دول قوية جديدة ؛ ففي إيطاليا وألمانيا وروسيا تجد نظريات مكيافلي اليوم ميداناً شاسعاً لتطبيقها

***

وقد تناول هذا الموضوع الخطير أخيراً كاتب ومؤرخ فرنسي كبير هو مسيو لوي دي فيلفوس L. de Villefosse ، في كتاب قيم عنوانه « نحن ومكيافيلي Machiavei et Nous » درس فيه حياة الفيلسوف دراسة وافية ، وانتقل منها إلى عصر التطبيق ، فذكر أن الفاشستية هي أعظم تجربة مكيافيلية عرفها التاريخ ، وأن فكرة السنيور موسوليني في توحيد الشعب هي فكرة مكيافيلية محضة . « أن تكون الدولة (وفي لغة مكيافيلي الأمير) كل شيء والفرد لاشيء ، وأن تكون الدولة مصدر كل السلطات والقوانين ، وأن تطرح كل اعتبار أخلاقي في تحري غاياتها » هذا هو شعار الفاشستية ، كما يعرفها الأستاذ دي فيلفوس ، وهذا هو شعار الدول الطاغية الأخرى التي تقوم على أصولها ؛ وهذه هي نفس الرسالة التي بشر بها الفيلسوف الإيطالي في كتابه « الأمير »

وكما أن الفاشستية تقوم من الوجهة العلمية على أسس المكيافيلية فهي أيضاً تؤثر لغتها وأساليبها الدبلوماسية ؛ فزعيم الدولة الايطالية يستعمل اليوم نفس الوضوح الجاف ، والصراحة المثيرة ، في تمجيد وسائل العنف وأساليب القوة الهمجية ، ويبدي نفس الاغتباط في تمزيق جميع المثل العاطفية ، ويتقدم إلى العالم باسم الدولة وضرورة قيامها على أنقاض جميع العناصر والاعتبارات الانسانية ، وبأنها مصدر الحق ومجمع القوى ؛ ثم هو يرجع مثله الأعلى إلى نفس الكعبة المقدسة التي مجدها مكيافيلي ، وهي « رومة » وعظمتها الخالدة

فالفاشستية هي إذن ذروة النجاح العملي في تطبيق الفلسفة المكياڤيلية ؛ وإذا كانت المكياڤيلية قد استطاعت من عصر إلى آخر ، وفي بعض الظروف والمناسبات أن تحقق لمحات من الظفر ، فإنها اليوم على يد الفاشستية تحقق ظفرها كاملا . وخلاصة شعارها الظافر الذي نادت به منذ أربعة قرون هو شعار الدول الفاشستية المعاصرة ، وهو أن النصر الحقيقي إنما هو للقوى المسلحة والوسائل المدمرة ، وإن كل سياسة لا تقوم على الحقائق العملية مصيرها إلى الفشل المحقق ، وإنه لاحق للضعيف والأعزل في البقاء ، ولا وجود لمثل أو مبادئ مثلى لا تدعمها القوة المادية

بل ويرى الأستاذ ڤيلفوس أن ظفر المكياڤيلية لم يقف عند هذا الحد ؛ ذلك أن هذا الظفر يشمل ميادين لم تكن تصلح بطبيعتها ولا بمبادئها لاعتناق المكياڤيلية وتطبيقها وهي الدول الديموقراطية ؛ ولكن الدول الديموقراطية ترى نفسها اليوم مضطرة إلى أن تتحوط لخطر الدول الفاشستية المدججة بالسلاح ، وأن تقابل القوة بالقوة محافظة على سلامتها وكيانها ، فهي بذلك مضطرة إلى أن تقتبس نوعاً من المكياڤيلية التي لا ترغبها ولا تؤمن بها ، وهذه هي حقيقة محزنة ، ولكنها حقيقة لا ريب فيها

***

هذه هي خلاصة الحقائق التاريخية الجديدة التي يبسطها الكاتب الفرنسي في مؤلفه بسطاً قوياً شائقاً ؛ ونقول إنها حقائق تاريخية لا تعوزها الأدلة الواقعية . وما ذا تكون المكياڤيلية إذا لم تكن هي نفس النظم التي تطبق اليوم بمنتهى العنف والصرامة في إيطاليا الفاشستية ، وألمانيا النازية ، وروسيا البلشفية ؟ إن هذه النظم جميعاً تقوم على نوع من الزعامة الممعنة في الطغيان والاستئثار بكل السلطات ، وهذه الزعامة ذاتها تستتر وراء فكرة الدولة ؛ ولم يبق للفرد اليوم وجود في ظل هذه النظم المطلقة ، ولم

يبق له شيء من الحقوق أو الحريات العامة ، فهذه كلها تفيض وتنمحى فى شخص الدولة ؛ والدولة أو أولئك الذين يعملون باسمها يضعون أيديهم على مصاير الأمة أرواحها وعقولها وجسومها وكل ما ملكته أيديهم ، ويتخذون من التشريع المدعم بالقوة القاهرة سلاحاً لفرض كل تجاربهم الإصلاحية على الشعب ، ويزعمون أن مناهجهم الإصلاحية هي السبيل القويم لتحقيق عظمة الأمة وخير الشعب ؛ وقد يعتمدون فى هذا السلطان فضلاً عن قوة الجيش العامة على صفوف حزبية كثيفة من الشباب المسلح المدرب على أساليب العنف ؛ وتسيطر هذه التجارب والمحاولات الإصلاحية على حياة الفرد الخاصة فضلاً عن الحياة العامة ، فترسم له خطط أعماله وتفكيره واعتقاده واتجاهاته وتصرفاته كلها دون أن تكون له إرادة الاختيار أو المعارضة ، وتجرى هذه المحاولات جميعاً باسم الدولة التى تقبض عليها الزعامة المتربعة فى دست الحكم

وهذه الزعامة المطلقة العاملة باسم الدولة هى بعينها « أمير » مكيافيلى ، واستتارها وراء فكرة الدولة إنما هو نوع من النفاق السياسى الذى أوصى به مكيافيلى

وكما أن المكيافيلية تبدو واضحة فى خطط السياسة الداخلية لهذه الدول المطلقة ، فهى تبدو واضحة أيضاً فى السياسة الدولية الخطرة التى تجرى عليها هذه الدول في تنظيم علائقها مع الدول الأخرى ؛ فالقوة في نظرها هى أساس الحق والعهود ، والمواثيق الدولية لاقيمة لها فى نظرها مادامت لا تتفق مع مصالحها ومراميها . وهذه هى الصورة الحديثة لمبدأ مكيافيلى فى قوله : « إن الأمير كثيراً ما يرغم لحفظ الدولة على أن يتصرف بغير ما يقضى به الإخلاص والصداقة والانسانية والدين » ولقد رأينا إحدى الدول العظمى تلغى ما بقى من تعهداتها فى معاهدة الصلح ، وتنكر ما وقعته من مواثيق دولية لصون السلام بحجة أن هذه النصوص والعهود تصطدم مع مصالحها الوطنية ولم يبق اليوم مبرر لبقائها بعد أن تغيرت الظروف التى أبرمت فيها ، ولم تفعل ذلك إلا بعد أن آنست من نفسها قوة تدعم بها خطوتها . بيد أن الروح المكيافيلية تبدو بنوع خاص فى اعتداءات بعض الدول القوية على الدول الضعيفة وغزوها أو استعمارها ، وقد كان غزو الفاشستية للحبشة والاستيلاء عليها بلا ريب أسطع المغامرات المكيافيلية فى عصرنا ، فقد انتهكت فيه جميع المعاهدات التى عقدت والمواثيق التى قطعت باحترام سلامة الحبشة واستقلالها، ولم تخف الفاشستية أنها أقدمت على هذه الخطوة الجريئة تحقيقاً لمطامعها الامبراطورية

وها نحن أولاء اليوم نشهد نفس التجربة المحزنة فى أسبانيا وفى الصين

فإلى أى مصير يسير العالم فى ظل هذه المبادئ العنيفة الخطرة ؟ يقول لنا مؤلف كتاب « نحن ومكيافيلى » إن مدى الشر الانسانى لم ينقص وإن العناصر السيئة في الأفراد تجمع من جديد لتطلق بعد ذلك من عقالها فى أعمال العنف والشر ، وأنها قد تدفع العالم إلى كارثة أفظع وأروع من كارثة الحرب الكبرى

ونخشى أن يكون فى ظواهر العصر وتطورات السياسة كثير مما يدعم هذا التكهن المروع

محمد عبد الله عنان

التنويم المغنـــــاطيسى
وقراءة الأفكار فى القديم
لأستاذ جليل

هذا التنويم المغناطيسى قديم ، وقد عرفته الحضارة العربية يوم كانت ، وقيدته بالكتاب ، وأثبته بعضهم فى مجلة العجائب وجريدة ماوراء الطبيعة ، وحاول العلماء تعليله وتفسيره فعجزت ذرائع علمهم فى ذلك الوقت عما حاولوا . وهل اهتدى اليه علم الغربيين إلا منذ حين ؟

وأول من ذكر التنويم المغناطيسى فى العربيـة — وان لم يسمه باسمه — هو (أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن على بن ملكا البلدي[1]) فى كتابه (المعتبر) منذ أكثر من (٨٠٠) سنة

قال الوزير جمال الدين يوسف القفطى فى كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) : « هبة الله بن ملكا[2] أوحد الزمان طبيب فاضل عالم بعلوم الأوائل ، وقريب العهد بمن زماننا . كان فى وسط المئة السادسة ، وكان موفق المعالجة لطيف الإشارة . وقف على كتب المتقدمين والمتأخرين فى هـذا الشان واعتبرها واختبرها ، فلما صفت لديه وانتهى أمرها إليه صنف فيها كتاباً سماه (المعتبر) أخلاه من النوع الرياضى وأتى فيه بالمنطق والطبيعى والإلهي فجاءت عبارته فصيحة ، ومقاصده فى تلك الطريق صحيحة . وهو أحسن كتاب صنف فى هذا الشان »

وقال ابن اصيبعة فى (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) : « أبو البركات هبة الله بن على بن ملكا كان فى خدمة المستنجد بالله (العباسى) وكان له اهتمام بالغ بالعلوم وفطرة فائقة فيها ، وله من الكتب كتاب (المعتبر) وهو من أجلّ كتبه وأشهرها فى الحكمة »

وهذه قصة ذلك التنويم كما حدّث أبو البركات :

« والمرأة العمياء التى رأيناها ببغداد ، وتكررت مشاهدتنا لها منذ مدة مديدة قدرُها ما يقارب ثلاثين سنة ، وهى على ذلك إلى الآن تُعرض عليها الخبايا فتدل عليها بأنواعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها دقيقها وجليلها ؛ تجيب على أثر السؤال من غير توقف ولا استعانة بشىء من الأشياء ، إلا انها كانت تلتمس أن يرى أبوها (المرء) الذى يسأل أو يسمعه ، فيتصور الدهماء أن الذى تقوله باشارة من أبيها ، وكان الذى تقوله يبلغ من الكثرة إلى ما يزيد على عشرين كلمة ، وإنما كان أبوها يقول إذا رأى ما يراه من أشياء كثيرة مختلفة الأشكال والأنواع فى مرة واحدة كلمة واحدة ، وأقصاه كلمتان ، وهى التى يكررها فى كل قول ، ومع كل من يسمع ويرى : (سلْها ، وسلها تخبرك ، أو قولى له ، أو قولى يا صغيرة) وقد عاندته يوماً وحاققته فى ألاّ يتكلم ألبتة ، وأريته عدة أشياء ، فقال لفظة واحدة ، فقلت له : الشرط أملك . فاغتاظ ، قال : ومثلك يظن أنى أشرت إلى هذا كله بهذه اللفظة . واسمع الآن ، ثم التفت إليها وأخذ يشير بأصبعه إلى شىء وهو يقول تلك الكلمة ، وهى تقول : هذا كذا ، وهذا كذا ، على الاتصال من غير توقف ، وهو يقول تلك الكلمة لازيادة عليها ، وهى لفظة واحدة بلحن واحد ، وهيئة واحدة حتى ضجرنا ، واشتد تعجبنا ورأينا أن هـذه الإشارة لو كانت تتضمن هذه الأشياء لكانت أعجب من كل ما تقوله العمياء . ومن عجيب ما شاهدنا من أمرها أن أباها كان يغلط فى شىء يعتقده على خلاف ما هو به ، فتخبر هى عنه على معتقداتها كأن نفسها هى نفسه . ورأيناها تقول ما لا يعلمه أبوها من خبيئة فى الخبيئة التى اطلع عليها أبوها . وهذا أعجب وأعجب ، وحكاياتها أكثر من أن تعد . وما زلت أقول إن من يأتى بعدنا لا يصدق ما رأيناه منها »

وقد أورد ابن أبى الحديد خبر (العمياء) هذه فى بحثه عن المغيبات فى شرح (النهج) وقال قبل روايته : « وقد يقع الاخبار عن الغيوب بواسطة اعلام إنسان آخر ذلك الغيب ، لنفسه بنفس المخبر اتحادا وكالاتحاد ، وذلك كما يحكى أبو البركات بن ملكا الطبيب فى كتاب المعتبر » :

وعدّ الرازى تلك العمياء (كاهنة) فقال فى تفسيره (مفاتيح

---

(١) نسبة إلى (بلد) وهى من مدن العراق

(٢) هنا وفى شرح النهج ابن ملكا وفى عيون الأنباء والوفيات ابن على ابن ملكا . وفى الوفيات ملكان

الغيب) : « الكاهنة البغدادية التى نقلها السلطان سنجر بن ملك شاه من بغداد إلى خراسان وسألها عن الأحوال الآتية فى المستقبل ذكرت أشياء ثم انها وقعت على وَفق كلامها .

وأنا قد رأيت أناساً محققين فى علوم الكلام والحكمة حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة أخباراً على سبيل التفصيل وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها . وبالغ أبو البركات فى كتاب (المعتبر) فى شرح حالها ، وقال لقد تفحصت عن حالها مدة ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخباراً مطابقاً »

وليست (العمياء) بكاهنة [1] ، وليس الذى تقوله من أنباء الغيبْ ، وما ذلك إلا (التنويم المغناطيسى) الذى عرفناه فى هذا الزمان ، وهو اليوم حرفة محترفين ، ومصيدة متصيدين . .

***

روى المقريزي فى (عقوده) هذا الخبر ونقله السخاوى فى (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) :

« كان أحمد بن عبد الخالق البدر القاهرى إذا كتب له البيت من الشعر أو نحوه فى ورقة لم يرها ودفعت إليه ، ويده من تحت ذيله قرأها ، ويده وثوبه يحولان بين بصره وبين رؤيتها ، إلا أنه كان يمر بيده على المكتوب خاصة فيقرأ ما كتب فى الورقة ، امتحناه بذلك غير مرة ، وشاهدت غيره يفعل مثله أيضاً »

والذى رواه المقريزى إنما هو من (قراءة الأفكار) وهو من ضروب المسمى عند الفرنج (Télépathie) وقد رأينا المنومين يفعلونه كثيراً

وذكر القفطى فى كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) رجلا اسمه (مخرج الضمير) فقال : « هذا رجل اشتهر بهذا الاسم ، وكان يدعى المعجز فى إخراج الضمير ، فانطلق عليه ذلك » ثم روى قصة من قصصه ، و (إخراج الضمير) مثل : (قراءة الفكر) أو هو هى ، والحكايات الصحيحة لبعض المتصوفة فى المخاطبة أو المراسلة النفسية (الكهربية) هى من هذا الباب

***

كنت قد أقرأت حديث ذلك التنويم القديم المنومين : الدكتور سلمون والدكتور داهشا) فقالا : هذا هو التنويم المغناطيسى بنفسه ، وسلّم سلمون ودُهش داهش [1] ! وسلمون هذا شاب من دمشق ، وداهش فتى من بيت المقدس ، وهذه الدكتورية وهذه التسمية أو التعمية هى أفنون من أفانين هذا التنويم ... وما أقول ذلك لائماً أو عائباً ، إنى أعلم أن عمامهما يقول لهما يا منومان ، يالا عبان ، العبا كما تهويان ، وتسميا وتلقبا بما تريان ...

وكلٌ فى هذه الدنيا إما منوِّمٌ مستهوٍ وإما منوَّمٌ مسهوًى . وما الأول — يا أخا العرب — إلا مثل الثانى ؛ فالمستهوِى مستهوًى ، والقاهر مقهور ، والمستعبِد عبد ، والحر غير طليق ، وذو الارادة فاقدها ، والكون فى موج القدر

وبصير الأقوام مثلى ، أعمى فهلمو فى حندس نتصادمْ [2]

بل ليس الناس كلهم أجمعون غادين ورائحين وعاملين ومتناحرين على الرغيف — إلا نائمين منوَّمين ، إلا فى شبه الحالة المسماة عند الفرنج (Somnambolisme وما الانسان إلا النائم السائر [3] Somnambule) « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود »

مفتحةٌ عيونهُمُ نيامُ [4]

وما يشعرون وما يستيقظون إلا وقت الموت . و« الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا [5] » (ه)

---

(١) الكاهن هو الذى يخبر عن الكوائن فى مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار ، ومطالعة علم الغيب (التعريفات) والكهانة محرقة والكاهن مشعبذ ، ولابن خلدون بحث عن الكهانة خذله فيه التحقيق

(١) داهش فى اللغة خطأ ، دهش الرجل فهو دهِش (بفتح الأول وكسر الثانى) ودهش كعنى فهو مدهوش ، وأدهشه فهو مدهش والمفعول مدهش (بضم الأول وفتح ما قبل الآخر) واندهش ومندهش من جماعة داهش

(٢) صاحب اللزوميات (الحندس) الليل الشديد الظلمة ، والحنادس : ثلاث ليال في الشهر لظلمتهن

(٣) النائم السائر هو الذى يمشى ويعمل ويتكلم وهو نائم ، قال معجم لاروس: Somnambule qui marche, agit. parle tout en demeurant dans l'état de sommeil

(٤) المتني ، وصدره (أرانب غير أنهم ملوك) وهو من قصيدة فيها هذا البيت وهو تاريخ موجز للحياة :

إذا كان الشباب السكر والشيب (م) هما فالحياة هي الحمام

(٥) حديث ، وفى (المحاسن والمساوى) ابن المعتز : أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام

النار المقدسة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أنضجت قلبه النار المقدسة التي أنضجت قبله قلوب رعاة القطيع ... ورواد الطريق ، وآباء الإنسانية البلهاء ... فغدا يسير على الدنيا وله فيها زفير وشهيق مكتومان لا يحسهما إلا من يتصل به عن قرب فيفتح له قلبه الكبير الذي فيه كل آلام الناس ، وكل لجائج الناس ، وكل مسئوليات الناس ... كأنه أب ذو عيال ! وكأنه مسئول عن ذنوب البشر فهو يبخع نفسه أسفاً ويسيل نفسه حسرات . !

سألته مرة : لم تحمل على قلبك الدنيا ؟ ولم تجتر آلامها وتمضغ أسقامها ، ولست فيها حاكما ولا شرطياً ! ؟ فقال : بليت بالنظرة الناقدة إلى العيوب ، وبالعجز عن وسائل الإصلاح ، فكان لي ما تراه من إدمان المضغ لأحاديث الشقاء وأماني الشفاء !

* * *

مات أبوه فبكت عينه وقلبه ذلك البكاء الرحيم لألم الحب والرحمة والفقد ساعات ... ثم نامت عينه ونام جسده بجوار جثة أبيه حتى صباح الدفن والضريح كأن شيئاً لم يحدث ... ولكنه لا ينام إذا مات من دينه أو وطنه شيء ... حتى يكاد يجن من الأرق ، لولا أن يتداركه الله بالنسيان والسلوى

* * *

ينخل الرجال والأعمال ، ويرى ما وراء الوجوه ويقرأ ما بين السطور ... فتروعه عورات الحقيقة العارية في الناس ... إذ يرى الجهل والإثم والدجل والخيانة والأنانية والبلاهة ... فيسأل السماء : أهذه هي الانسانية أمين وديعة في الأرض حاكمة ومحكومة ؟ !

مرهف حسه : فيرى كل شيء ويشم كل شيء ويسمع كل شيء حتى امتلأ وأتخمته الدنيا بما فيها ؛ فضوى جسده ، وتوسعت نفسه على حسابه

استقى لنفسه من الأنهار الكبيرة الجارية ، ومن الجداول الصغيرة ، ومن البرك الآسنة ، وحط على الزهرة والشوكة ، والجبل والحصاة والنار والماء ... فاصطرعت فيه الأضداد .

يعيش في سجن من وصايا الدين والعلم والخلق كأنه (ديدبان) فهو مسجون وسجان ...

متيقظ للزمان ... يعيش كل دقيقة ... ويحسب كل نفس ، ويصحب نفسه دائماً حتى أصيب بالذهول عن الناس .

يتكلم مع كل شيء ؛ فيقول لكل حق أنت صديقي ، ولكل باطل أنت عدوي ... لا يؤمن بالذكاء ؛ لأنه يدلس ... ولكن يؤمن بالطبع لأنه صريح ...

* * *

يريد أن يعلم الناس كيف يحبون ؛ وهم يرونه ميتاً ... فأين الملتقى ؟ !

يقول لهم : لا تأكلوا الثُّفل ... والحروف ... والحجارة.. واكتفوا بالعصارة والمعنى والروح ؛ فيقولون له : أنت تمضغ ماء وهواء ... !

* * *

يا رحمتاه لمثل هذا ما دام حيًّا ... فإذا مات فوارحمتاه للناس!

إن هذا وأمثاله هم أعضاء الإنسانية وأوتادها . من أجلهم وجدت على الأرض ، وإن نارهم مُوقَدة من القبس الخالد الذي أضيئت به السموات وقام عليه صلاح العالم

يكفي أن أنظر إلى واحد من هؤلاء حتى أهتدي إلى نفسي الضائعة ، فأجدها تحت ركام من ضجة الدنيا ... فأقول لها : تعالي وارمضي لفائف صدرك في هذه النار المشبوبة في هذا الرجل المحترق المضيء وتطهري بها وارجعي إليّ ...

ولقد وجدت واحداً منهم وعشت معه سنتين ، رأيت على ضوئه كل شيء في موضعه الحقيقي من الدنيا ، فحملني على احترام الإنسان والثقة بما فيه من عالم طاهر مؤنس إذا صُفِّي جوهره من الخبث والشوائب بهذه النار

بل لقد حملني على احتقار أكثر القوالب الإنسانية التي تملأ الأسواق والشوارع ... وجعلني أدور دورة «ديوجين» بمصباحه وأنشد مع القائل :

ما أكثر الناس! لا بل ما أقلهم! ... الله يعلم أني لم أقل فندا
إني لأفتح عيني حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحدا

أو مع المتنبي : « أرى أناساً ومحصولي على غنم ! »

أو مع الآخر :

لا تعجبنْكَ الثياب والصور   تسعة أعشار من ترى بقر !
في خشب السرو منهمُ مَثَل   له رُواء وما له ثمـر

* * *

ويا ويلي من الإنسان ! إنه يشغلني دائماً بصوره التي لا اعداد لها كلما رأيت وجهاً له ... وأقسم غير حانث أني لا أعرفه ولا أدركه ، رغم خبرى به فى هويتي ودمي وصورتي ! وإن نفسي التي بين جنبي هي القفل والغَلَق الذي حال بيني وبينه حتى عييت ويئست ...

بل يا ويلي من نفسي واحتكاكها بما وراء الحياة الظاهرة والصور والأشخاص والمواد ... ومن طلبها المزيد من هذا الاحتكاك الذي يعطشها ويتركها ذاهلة ماضية إلى غير وجه الحياة الذي يمضي عليه الناس ...

ولكن لا ... ! بل يا لذتي من غريزة التكوين والتخريب هذه التي تريني كل شيء كامل كومة من الأنقاض ... وكل شيء مخرب خلقاً سويًّا ... !

أليس الرجل طفلاً كبيراً ؟

* * *

يلذ لي أن أراقب الناس وقتاً طويلاً في الشارع ، وأشبع عيني وما وراءها من أنواعه واختلافه ... لأزداد به جهلاً ...

بل إني أذهب إلى « السينما » لأراه في جميع بقاعه وألوان معاشه واختلاف سحنه وألوانه ولغاته ، لأخرج بعد ذلك مبلبل الفكر فيه في سوء ظن تارة ، وفي إحسان تارة أخرى

بل إني أطوف كل يوم قبيل نومي بخيالي عليه في جزره النائية في المحيطات ، وفي القطبين ، وفي خط الاستواء ، وفي هضبة التبت ، وفي سفوح الهند ، وفي رمال العرب ، وفي ... وفي ... لأعيش في غيبوبة الصحو قبل غيبوبة النوم !

* * *

لقد رأيته قاتلا ومقتولا ... جنينا محمولا وميتاً ملحوداً ... عاهراً وناسكا ... جميلاً وقبيحاً ... رجلاً بشَعر وجُهومة ، وامرأةً بزينة ونعومة ... عالماً يضيء استراليا وهو في أوربا ، وجاهلا قدَماً عارياً آبداً عاجزاً أن يعد أصابع يده ... فذهبت من نفسي قداسته وانحطت هيبته ...

والذي حارت البرية فيـه   حيوان مستحدث من جماد !

* * *

أجل ! إني رأيت مخه ... ورأيت قلبه ... فلم أر شيئاً غريباً عما آكله من الغنم والثيران ... ولذلك كفرت بالجسد كفراً لا إيمان بعده أبداً ... ورحت أبحث عن الإنسان — ذلك المجهول ... فلم أعثر إلا على لمحات عنه خلال كلمات ليست منه وإن كانت بألفاظه . وهي كما رواها محمد :

« إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد »

« وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ... »

« ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم ... »

« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ... »

« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين »

* * *

يا يد الله ! يخيل للانسان العاجز أنك تخرجين الصنعة من مخابير ومسابير وعجلات ودواليب في مصانع وحظائر . وأنك تستخدمين طلاسم ولوغاريتمات ومعادلات ... كما يفعل هو إذا أراد أن يحاكي أو يوحد بين ذرتين أو يفصل بينهما . ولذلك سألكِ ابراهيم أحد المقربين إليك : رب أرني كيف تحيي الموتى فأريته ذلك الكَيْف . ولكنه لم ير شيئاً أكثر من أنه دعا مَواتاً فاستجاب له حياً ! إنه لم ير شيئاً ...

إن كل آلاتك كلمة واحدة من حرفين اثنين يكمِّلِـنا نحن ولكنها عندكِ خارجة عن حدود التعداد والقياس

إنكِ يد تتكلم كلمات وراءها حقائقها المُنجزة التي لا تنفد ولو كُتبت بما في الأرض من شجرة أقلاماً ممدودة بماء البحر من بعده سبعة أبحر ...

* * *

قال « اسحاق نيوتن » ما معناه : إن خالق هذا الكون على

علم تام بعلم الميكانيكا.. تماماً كما يقول الطفل : إن الملك عنده مائة دينار

ومن هنا آفة الفكرة فى « الألوهية » عند أكثر الناس إذ جعلوا « الله » على صورتهم وبمنطقهم ... !

* * *

قالت القدرة المطلقة للعجز الإنسانى : تَهَجَّ هذه الأبجدية التى شئت أن تراها وحدها منتهى حسبك من معرفة . ولكنه تخطى البُدائيات وخاض فى أنه أهل فضل فى فلسفاته وفرضياته حتى عاد لا يرى تلك المشيئة الذهبية

« حددوا المادة وأنا أتكفل بتحديد الروح » . هذا قول « مِلِكَن » العالم الطبيعى الذى قاس مقدار الشحنة الكهربائية على الألكترون ، والذى اكتشف أشعة تفوق أشعة إكس مئات الأضعاف في قوة اختراقها للمواد ... لم يتخط عقله إلى البحث فى الروح قبل أن يدرى ما هي المادة ... ولعمر الحق إن مثل هذا لن يضل ...

* * *

سأراك أيتها الشمس فى عينى جديدة كل صباح ... وأنت يا عالم الظلام ...

وأنت أيتها الأشجار سأصحبك بلفتاتى الذهنية كلما رأيتك قائمة بالفرع ساجدة بالجزع فى محراب الطبيعة ...

ويا أيها الماء والحيوان والإنسان والجبل والحصى ...

ياسائر ماخُلق من الآيات التى نمر عليها ونحن عنها معرضون أقسمتُ لا أبرح أراكِ جديدةً عجيبةً مثيرة للفكر فى الرأس والدم فى القلبِ ... حتى لا أنسى ... حتى لا أنسى !

عبد المنعم خلاف

من برجنا العاجى

يتساءل بعض الناس كيف لايستطيع أدباؤنا أن ينتجوا إنتاج أدباء الغرب ؟ أما أنا فأتساءل كيف استطاع أدباؤنا أن ينتجوا إطلاقاً ، ولماذا هم ينتجون ؟ إن موقف أدبائنا اليوم ليدعو إلى العجب . إنهم فى موقف لم يقفه أدب ولا أدباء فى عصر من العصور . إن المعروف فى كل عصر أن الأدب يرعاه دائماً تشجيع طبقة من الطبقات . ففى عهد الارستقراطية كان فى كنف الملوك والخلفاء والأمراء والنبلاء ، يتبارون فى حمايته ، ويتسابقون فى إعلاء كلمته . وفى عهد الديمقراطية الحديثة وانعدام الأمية انتقل أمره إلى يد الشعب المتعلم فهو الذى يثيب الأديب بالتهافت على اقتناء كتبه ، وهو الذى يحوطه بمظاهر الاحتفال والتقدير . أما أدبنا اليوم ، فهو حائر كاليتيم بين أرستقراطية لا وجود لها ، وإن وجدت فلا شأن لها بأدب ولا أدباء ، وبين ديمقراطية إسمية فى شعوب لم يتم تعليمها ، فهى بعد لا تعنى بأدب ولا أدباء . فأننا ننتج ونحن نعرف أن إنتاجنا لا يهم الحكام ولا المحكومين ، وأن ثمرات هذا الفكر الذى أضعنا من أجله كل حياتنا الجليلة لن يجنيها غير نفر قليل ممن ينظرون إلى استشهادنا بعين الرثاء . نعم إن هو إلا استشهاد ، هذا الأدب فى هذه البلاد ... لا شىء غير ذلك . وإنى قد سألت نفسى مراراً لمن أنشر كتبى ؟ فكان الجواب : إنى انما أفعل من أجل أولئك التسعة أو العشرة من الأدباء الكرام الذين يفهموننى لأنهم يعانون عين الألم ، وينتظمون معى فى سلك العذاب ، ويدبون مثلى على أقلامهم فى تلك الحياة الطويلة الجرداء ، كأنها صحراء من الجليد لا يهب علينا فيها غير صقيع الإهمال من الشعب وأصحاب السلطان ، ولكننا مع ذلك نسير ونسير متجلدين ، أيدى بعضنا فى أيدى البعض كأننا منفيون فى مجاهل سيبيريا ... ومانحن فى الحقيقة أكثر من ذلك ... مانحن إلا منفيون فى مجاهل « فكرنا » الذى يجهله الناس .

توفيق الحكيم

كلمة لبنان (*)

فى مهرجان القرآن الملكى السعيد

للأستاذ أمين بك نخله

باسم القلم فى لبنان ، بل باسم القلم اللبنانى فى كل أرض ، بل باسم اللبنانيين فى دارهم وفى كل دار لهم على جنبات المعمور ، أرفعُ هذا الصوت على النيل ، في فرحة البيت المصرى بصاحب التاج ، فينجلى الحجاب ، ويبشُّ وقار المُلْك ويأنس عرش (محمد على) لرسول الأحبة من أرض (بشير) !

فيا فاروق ، يا لابس المطرف (العلويّ) ووارث الميثاق : هذه رسالات الوفاء فى يدى ، أحملها إليك من وراء قنال (السويس) ، من نهايات شطه الآخر ، حيث لا ينبسط القنال فى ظن القلوب بين بيروت والقاهرة ، ولا يشطر دار الهوى فى خطرات (محمد على) وسرائر (بشير) ، فكأن معاول (دى ليسبس) عند عقدة (الأبيض المتوسط) و (الأحمر) ، ووشك التلاقى بين لونى آسيا ، وأفريقيا ، فى مخطط الدنيا ، لم يُسمع لها رنّة على الساحل الشرقي من (المتوسط) !

وهكذا تسلم علاقة الماضى بين جبل المقطم وجبل الأرز ، لا يحول دونها خط (السويس) فى الخارطة ، وهى من إرث الوجدان قبل عهد الخلائق بالورق ...

كان التراب أمس — كاندرى — أوفر أثراً من الماء فى علائق البشر ، وتعمير الممالك ، ونقل المدنيات ؛ بل كان مدار العقل القديم فى تأليف الأمم ، ومزج الأجناس ، قبل أن يصبح المدار على دم العرق ، وهوى الضمير ، ولغة الفم ، ففى ذلك الأبد السحيق كان من المتحتم أن يغدو هذا الشاطىء الشرقي المنطرح من مباسط (طوروس) إلى مشارف (أسوان) ملعباً لدورين ينقص تاريخ البشر يوم يسقط لها ذكر ! لنا دور منهما ولمصر الآخر . فرجّت كرة الأرض يومئذ من الحركة الشرقية . فالملعب عريض ، قبالة الأمم على (المتوسط) ، والرواية رواية المدنية ، وأصحابها أساتذة الأزمنة فى رفع الحجر إلى الجو ، وإخراج النبتة من الأرض ، وإبراز خاطرة البال فى حلّة الحرف ، وربط هذه المخيّلة البشرية بالغيب العالى ، فشهدت الدنيا القديمة ، للمرة الأولى ، كيف العهد بآفاق يراد لها وحدة ، وشعوب يراد لها تأليف ، وإذا الشمس لا جديد تحتها ؛ فكرّة من صوب مصر علينا ، وكرّة من صوبنا على مصر ، حتى تتعب الأزمنة بين أخذ ورد . فكان عبثاً مجىء (كنعان) من جوار الجبل اللبنانى ، ووادى مصر أغبر ، وماء النيل هدره ، فيمسح بالخضرة ، ها هنا ، على كل فج عميق . وكان عبثاً أن يقطع (تحتمس) إلينا ، حتى يبلغ ضفاف (الفرات) ويكاد يشرف على صفرة آسيا ، كما كان من العبث أن يقطع (سلاتيس) إليكم حتى يبلغ ضفاف النيل ويكاد يشرف على سواد افريقيا . بل كان من العبث فوق ذلك أن نتلاقى على الملعب : فرعونية من جانب ، وفينيقية من آخر . نمدكم بالحرف واليد والشراع ، وتمدوننا بالخاطرة والصنع والوسق ، فتدق البشائر فى الدنيا بأول العهد بالعلم والصناعة والتجارة

ولا تقف المحاولة عند ربط صعيد بصعيد ، وعلم بعلم ، ومصلحة بمصلحة ، بل جاوز الأمر إلى الديانة . فإذا الإله اللبنانى (أدونيس) تحت القناطر فى (أسوان) ، وإذا الإلـه المصرى (أوزيريس) فوق المذابح فى لبنان . فألف الأول فى العصبية الدينية زرقة السماء المصرية على خضرة الجبل اللبنانى ، كما جمع الآخر أمواج (أفقا) إلى أزباد النيل . ولكن الوحدة فى التيجان والرايات وأجناس القبائل لبثت على ذلك كله غير مستطاعة ، حتى إذا دار بنا الفلك بعد ملىٍّ من الدهر ، وطلعت علينا أم الفتوح واحدة واحدة من الأشوريين إلى الرومان ، خفتت على هـذا الشاطىء المشرق صيحة الوحدة

ثم انقلب أمر الدنيا ، ثم جاء (الإنجيل) ، فنوّرت هاتيك الجهات على مقربة من لبنان . ثم نوّر لبنان بالسبب الجديد ؛ وما هى حتى جاءكم مرقس يكرز ، فكأنما عدنا إلى المحاولة . ويلمع في الأيام بعد ذلك ضياء من صوب (البحر الأحمر) ، فتلألىء (مكة) وتغرق بلاد العرب فى اللألاء (القرشى) . فإذا القضية لقومية ، فوق كونها لديانة . فتنقل شعاع (القرآن) فى مشرق (المتوسط) على الدروب الباقية من ذلك الغرض القـديم . وشرعت الرايات (المحمدية) تخفق فى دمشق على خطوتين من جبل اللبنانيين ،

(*) نص الخطاب الذى ألقاه الأستاذ أمين بك نخلة مندوب الصحافة اللبنانية فى الاذاعة المصرية مساء الجمعة ٢٨ يناير الحالى

فأقبلنا فى الزمن (الأموى) نعب من (كتاب) العرب ، وندير ألسننا فى الفصاحة ؛ كما أقبلتم على يد (ابن مروان) تتلقون عقيدة الكتاب الجديد ، وتتلقنون لسانها ؛ فكان أن جمعت رابطة الفم بين هذا (الوادى) وذلك (الجبل) ، بعد أن جمعا تارات فى المحاولة على المصلحة والعلم والديانة ، وعلى دفع الفتح ، وتحمل الأمم الغربيـة . ولكن تلك الرابطة التى تضم الفم إلى الفم ، كانت أشد الروابط ، فتلاقينا معاً على ملعب (المتوسط) كرة أخرى . أما الغرض القديم فكان فى نقلة الزمن قد تحول من نحو إلى نحو ، بل انتقل من جنس فى الجمة الشرقيـة إلى جنس ؛ فضج السكون بالعرب ، ورقصت فصاحتهم على (شنيل) الأندلس ، كما رقصت على (نيل) الكنانة ، وغدوا وراحوا على الممالك ، حتى لقد تصايحوا بالضاد على أبواب فرنسا

وتسكن العروبة بعد الدور العظيم ، وتجىء العثمانية تملأ الملعب ، فنعتليه ومصر ؛ وتتعاقب فصول فى الرواية التركية الطويلة ، وتختلف وجوه ؛ وكانت مغارب الشمس قد أضاءت وطفقت مشارقها تعتم . فيرج المدفع فى (عكا) ، ويقطع على (بونابرت) طريق (الهند) ويرد يد الإسكندر الثانى عن تغيير خارطة العالم :

فيا صاحب الجلالة

فى تلك اللفتة من التاريخ جاء جدك . . . وقد كان من الاتفاق أن يولد بونابرت فى (أجاكسيو) خارج فرنسا فى العام الذي ولد فيه محمد على في (قوله) خارج مصر . فلما غلغلت الشمس الفرنسية فى جوف (البركان المنطفئ) وراء (الأوقيانس) ، وأخذت الشمس المصرية تتعالى فى سموات التاريخ — وكأنما أنوارها تتفلت من وحشات ذلك الغروب البعيد — كان من الاتفاق أيضاً أن ينهض عرش عصامى فى الشرق ، حيث يهوى فى الغرب عرش عصامى ؛ فيتربع (محمد على) فى مصر ، ويعود الشاطئ المشرق على يديه إلى المحاولة . وأنت تدرى أن كرة الأرض قد صغر حجمها فى عيون أساتذة الطمع ، منذ ما قامت أوربا على قدميها ، وأصبح قيد الشبر من أرض على خليج يحله فاتح فى الأعصر الحديثة ، بمثابة نصف قارة يخوضه فى الأعصر القديمة فاتح مثله ؛ فلم يخرج (محمد على) على قاعدة الأساتذة ، ولكن قيد شبره كان كبيراً . . . فصهلت خيل (طوسون) و (إبراهيم) على سيف (البحر الأحمر) المشرق ، وفى صحراوات (الحجاز) ، ومشارف (نجد) ، ولوحت أعرافها تحت (إسماعيل) على (البحر الأزرق) ، وخطرت عمارة (إبراهيم) بين عينى الجزائر (اليونانية) ، ثم طلت أعلامه علينا من (العريش) ، فقطعت من يافا العربية إلى (قونية) التركية خلف (طوروس) ، وكادت تطل على خليج (البوسفور) !

أما لبنان فأقبل على المحاول المصرى الكبير في إجابة من النفس . إذ الملعب المشرقى لنا فيه سابقة الخطرات . فلا عجب أن تصبح يد (بشير) فى يد (محمد على) — وكان سيد (الجبل) قد نفضها قبل من نابليون نفسه — عند أسوار (عكا) . . . ! ثم تنسخ فى المحاولة الجديدة صورة أختها تلك ، فيرتبط الجبل اللبنانى بالوادى المصرى فى العلم ، بعد أن ارتبط به فى الحد والمصلحة واللسان ؛ وفى دين (ابن مروان) ودين (مرقس) ؛ فأظلنا (القصر العينى) معاً ، وجمعتنا مطبعة (بولاق) على المتعات فى الفلك والزراعة والهندسة والجغرافية

وكما كانت المحاولة فى الأمس العتيق تساجلاً بين نضرة من هنا ونضرة من هناك ، كذلك كان الأمر فى أعقاب القرن الماضى ؛ يوم أصبح العلم العربى لا يطلع له قمر إلا من أرضنا ، فبعثنا بالمتعات فى الأدب والفن والتاريخ واللغة ، وجاء الرد بعد الأخذ ، وصحت المقابلة فى التاريخ ! وإذا كانت رياح العربية تهب اليوم من مصر ومن عندنا فى آن معاً ، حتى ليكاد يختلط الطيب فنتقاتل على نخر الشيوع ، فما هى إلا من أهبة يأخذها التاريخ لتدوين هذا النسق الجديد من المحاولة التى لم ينقطع خيطها ، والحمد لله . . . !

فيا صاحب الجلالة

شرفاً لعرشك فهو كرسى النيل ، وقد ظلل نصف الحضارة البشرية ؛ وتيهاً لمطرفك فهو ثوب (محمد على) وقد فيأ نصف الحضارة العربية . فشاطر عرشك فى محاولة الشرق القديمة ، وساهم مطرفك فى المحاولة الحديثة ؛ فإذا تسلمت بكفيك الغضتين وديعة الماضى الباهظة ، فلا خوف عليها ، وأبيك (يا ابن فؤاد) ! وإن لبنان الذى شرفني بالوقوف بين يديك ، فوق تشرفى بالكلام

بحث سيكولوجي

إعمل ما تخشاه

للأستاذ أحمد المغربي

من أشهر المجلات الشهرية العالمية وأوسعها انتشاراً وأغزرها فائدة ، هي مجلة « زبدة القراء » Readers Digest التي يشرف على تحريرها نفر كبير من مشاهير الأدباء والعلماء ، وقادة الفكر المحدثين . ولعل خير وصف لها تسميتها « بعجلة المجلات » . ذلك لأن القائمين على إدارتها يختارون لها من عشرات المجلات أطيب الآثار الأدبية وأوثق الآراء العالمية وأحدث الأنظمة الاجتماعية وما إليها ، ثم يجملونها ويوجزونها في صفحات قليلة يعرضونها على قرائهم بصورة جذابة وطريقة خلابة تستلفت أنظارهم ، وتستهوي أفئدتهم ، وتسحر عقولهم ، فيقبلون على انتهال مواردها اقبالاً يفوق إقبال الصادي في الصحراء على موارد الماء

وميزة أخرى يتحتم على ألا أغفل ذكرها ، هي أن القارئ يجد في القسم الأخير منها موجزاً لكتاب في مختلف ألوان الأدب والقصص والعلوم ، تقره في كثير من الأحيان ، جمعية « كتاب الشهر » وتوصي بمطالعته بعد أن تكون قد اختارته من مئات الكتب التي صدرت في تاريخ صدوره

ولا شك في أن مثل هذا العمل المثمر والانتاج النافع يسدي إلى القراء خدمات جليلة . ذلك لأن الانسان ، بلغ ما بلغ من حب المطالعة لا يستطيع ، بل إنه ليعجز عن أن يطالع جميع ما يصدر من كتب ومجلات ، مهما اتسع وقته وتوفر فراغه .

ولا ريب أيضاً في أن الأستاذ الزيات يشاركني في اعتقادي ، ونحن في مستهل نهضتنا الفتية المباركة ، بأن حاجتنا مُلِحة جداً إلى مثل هذه المجلة الفريدة ، مع نبل الرسالة التي تحملها رسالته ، فعسى أن تكون كلمتي هذه حافزاً له في تحقيق هذه الفكرة وسد هذه الثغرة

كاتب هذا المقال الذي نقتبسه من هـذه المجلة هو الدكتور هنري لنك Henry C. Link ، رئيس دائرة الخدمة السيكولوجية في مدينة نيويورك . وتضم هذه الدائرة جماعة من علماء النفس الذين يقومون بإرشاد من يستشيرهم في المشاكل التربيويه والمهنية والشخصية . ولا يزال كتاب الدكتور لنك الأخير : « العودة إلى الدين » يتمتع بشهرة واسعة وإقبال عظيم ، بالرغم من مضي أكثر من سنة ونصف سنة على نشره

يستهل الكاتب حديثه قائلاً :

لقد نازعتني عوامل التردد والإحجام قبل أن قررت الكتابة في موضوع « الأوهام والمخاوف » ، ذلك لأن طائفة كبيرة من المخاوف التي تعتور نفوس الناس ، إنما هي بلا جدال تعزى إلى كثرة ما كتب في هـذا الصدد . وكم كنت أتمنى لو أن لفظة « مركب الضعة أو الشعور بالحطة » inferiority complex لم تخرجها المطابع إلى الوجود ، إذن لما خطر لملايين البشر بأنهم مصابون بذلك ، ولنقص خوف من مخاوفهم ووهم من أوهامهم

والواقع أن معظم المخاوف لا تنشأ عبثاً ، بل تتولد عموماً من الإغراق في المطالعة والإكثار من التفكير والكلام . فنحن نتعهدها ونرعاها ونغذيها حتى تستحيل من أمر بسيط في غاية البساطة ، وشيء تافه بعيد عن الخطورة ، إلى هم مقيم وعذاب أليم

إن الأم التي تكثر من مطالعة الكتب المختصة بتربية الأطفال وتحرص كل الحرص على الإحاطة بدقائقها وأسرارها تصبح شديدة المخاوف . والفتاة التي تهتم بمظهرها الخارجي وتتكلف كل الكلف بأناقتها سرعان ما يزداد قلقها ويتعاظم هلعها مما يراه الناس فيها ، والجماعات التي تدقق البحث في أحاديثها ومناقشاتها عن وضع البلاد يؤول تشاؤمها في الغالب إلى الخوف

وصلتني رسالة من فتاة تبتدئ كما يلي :

باسمه ، لا يبرح على العهد . فدارنا الشرق ، وأهلنا العرب ، ولساننا الضاد ، نشمخ به في الأفلاك ...

ويا صاحب الجلالة

مقبلٌ أنت — يا ربيع الوادي — على سنَّة الثمر ، غِبَّ الزهر ، فتصبح المثال العالي لجيل الشرق الطالع ، في مباكرة ذلك النعيم الاجتماعي ، الذي يأنس له العقل والدين ، ويحمد (واديك) طيب الموسم ، وينظر لبنان إلى البركة بعين الصديق .

إذا شاء الله أمين نخلة

١٢ ـ ١٠

« منذ أن بلغت السادسة عشرة من عمرى كنت أخاف من التحدث إلى الغرباء . ثم تستمر الرسالة فى تعداد مخاوف أخرى ، كالخوف من رئيسها ، والخوف من الرجال ، والخوف من سوق السيارة ، والخوف من تقديم تقرير في ناد للبنات ، وغيرها من المخاوف التى بلغ عددها » . وجميعها مخاوف من صعيد مشترك واحد ، يقاسى منها ملايين البشر . والنتيجة لهذه المخاوف ، فى كل حالة تقريباً هى واحدة : نوع من الشلل الزاحف ، شعور بالبؤس والاختناق والروع والرعب والهزيمة

***

شكا إلىّ شاب بأن النوم يجفوه ، وبعد أن شرح لى شرحاً بسيكولوجياً مسهباً علة ما أصابه سألنى : « هل تستطيع أن تساعدنى على التخلص من هذه الهواجس والوساوس ؟ فأجبته : لا . فتوسل إلىّ قائلاً : إذن ، ماذا أستطيع أن أعمل ؟ فاقترحت عليه أن يركض فى الليل حول الحي الذى يعيش فيه حتى يكل وينصب ويبلغ به الجهد حداً يشعر معه بأنه سوف يسقط على الأرض إعياء . وقلت له : إن ما تحتاج إليه ، هو الإجهاد ؛ لقد أنهكت قواك البدنية فى التفكير والتخيل والأحلام ؛ فاذا ركضت ركضاً مكداً مجهداً فلا تلبث أن تشعر بالارتخاء والفتور فتنام ؛ إنك لشدة ما فكرت ، جررت نفسك إلى الخوف ، بفكرك ، وإنك لقادر على أن تفر منه بساقيك »

ولقد فعل !

***

قدمت إلىّ والدة منذ أمد غير بعيد ، هذا الملخص المهم لتاريخ حياتها : « كنت وأنا فتاة ، تعرونى مخاوف كثيرة تسبب لى قلقاً واضطراباً ، منها الخوف من الجنون ، ولقد استمرت هذه المخاوف حتى بعد زواجى . إلا أنه بعد مدة قصيرة ، رزقنا طفلاً ثم انتهى بنا الأمر إلى أن أصبح لدينا ستة أولاد . ولما كنت أقوم بنفسى بجميع أعمالى البيتية كنت كلما بدأت أشعر بالقلق ، أسمع بكاء الطفل أو نزاع الأطفال ، فأبادر إلى تهدئة أحوالهم . أو كنت أتذكر فجأة بأن وقت الغداء قد حان ، أو بأنه يتحتم علىّ أن أتم كى الملابس ، فكانت المخاوف التى تنتابنى تقطع على الدوام بواجبات عائلية ، وعلى مر الأيام تلاشت تدريجياً . وأنا الآن ألقى عليها نظرة لمجرد اللهو والسلوة »

وقد يكون مغزى هذه الحادثة ألا يكون للوالدين ستة أطفال ، ولكن الميل إلى تقليل عدد أفراد العائلة وزيادة أوقات الفراغ ، يؤدى ، في الحقيقة ، إلى توليد المخاوف . ومن الحقيقة أيضاً ، أن الكثيرين ممن تلازمهم هواجس مقلقة ، قد يجدون لذة جديدة فى الحياة لو أنهم يهتمون بشئون أناس آخرين بواسطة الاشتراك فى الأعمال الاجتماعية المحلية .

أنت لا تحب مثل هذه الأعمال ؟

إذن ، يجب أن تتذكر بأن كل خطوة فى التغلب على الخوف تتطلب ، فى البداية ، قوة إرادة

إن الذين تعلموا الغطس ، مثلاً ، يذكرون المصاعب التى أصابتهم . فأنت أول فى الأمر ، توازن نفسك ثم تميل إلى الأمام ، فتتردد فترتد إلى الوراء خوفاً وهلعاً ، ثم تحاول مرة ثانية فتنسحب . وأنت فى كل تردد تزداد مخاوفك . وأخيراً تثور ثائرتك ويشتد غضبك من هذا الخور والجبن ، فتقذف بنفسك دون أن تبالى بانحراف ذراعيك ، أو تكترث لاعوجاج ساقيك . تصعد ، بعد ذلك ، كسيفاً مضطرباً ، وتزداد حالتك سوءاً حين تسمع قهقهة أصدقائك وتشاهد سخريتهم . فلو أن مخاوفك ، فى هذه النقطة ، حالت دون أن تقوم بمحاولات أخرى لما تعلمت الغطس ؛ ذلك لأن مخاوفك تصبح غير قابلة للقهر . ولكن لو أنك تشبثت وداومت على القيام بغطسات مؤلمة خرقاء غير لبقة ، لأمكنك الغطس بهدوء ونعومة ، والصعود مرتاح الفكر ناعم البال . ولقد كنت فى طريقك إلى أن تصبح غطاساً ماهراً

تلك هى السيكولوجيا الأساسية للتغلب على الخوف ، واكتساب الثقة والإيمان بكل ناحية من نواحى الحياة ؛ وليس ثمة مفر من هذه الطريقة . يتحتم علينا ، بين آونة وأخرى ، أن نخوض جدول الحياة ونغوص فيه ، فنضيف نصراً إلى نصر ، وننتقل من فتح إلى فتح ، متغلبين على ما يعترض سبيلنا من مخاوف وأوهام ، الواحد بعد الآخر . وكما قال امرسن : افعل الشيء الذى تخاف منه فان موت الخوف محقق . والواقع أن مخاوفنا هى القوى التى تكوننا حين نعالجها بشدة وحزم ، وهى التى تحطمنا إذا ما عولجت بالتردد والحيرة والتوانى والتعقل

سألنى شاب منذ مدة غير طويلة أن أقترح له بعض أعمال صعبة يقوم بها ، وقال لى « إن كتابك يوصى بالتمرن على الرقص

وكرة السلة أو بعض المباريات الرياضية والبردج وحفلات السمر والألعاب ، ويقول بأن على الانسان أن يعمل حتى الأشياء التي ينفر منها ويبغضها ؛ على أنني لم أكن أكرهها وأنفر منها فحسب ، بل كنت أخاف من القيام بها . بيد أنني عزمت على تجربتها . فمر على ردح من الزمن الرهيب كنت أشعر فيه بالبؤس والتعاسة وأعاني فيه عناء كبيراً وعذاباً مريعاً ؛ ولكن سرعان ما زالت مخاوفي واستعدت نشاطي وانكببت على هذه المشروعات الجديدة . والواقع أنني أتمتع بحياة جديدة تضفي على نفسي ألواناً من الهناء والصفاء حتى بت أخشى أن أميل إلى حياة الراحة والترف . وأود منك أن تخبرني ببعض الأعمال التي أجد في القيام بها مشقة حقيقية .

إن هذا الشاب تعلم درس استخدام مخاوفه كواسطة للفوز والانتصار والهناء والمرح البهيج . واتجه إلى حياة أوسع نشاطاً وأغزر حيوية من الناحيتين الحيوية والفكرية

والخطوة الأولى في التغلب على الخوف هي أحياناً عملية بسيطة أولية جداً . أتذكر شاباً غمرته المخاوف إلى حد كلما كان يتمكن من الكلام بصوت مسموع . كان يعمل في مصرف كبير ويعرف اثنى عشر رجلا في دائرته ، إلا أنه عند ما كان يذهب إلى مكتبه لا يحيي أحداً . فاقترحنا عليه أن يبدأ بتحية رفاقه من صميم قلبه قائلاً : صباح الخير ، إبراهيم ، يا أهلا ، زهير ، .. صباح الخير ، يا سيدي ، أثناء مروره بهم . فجرب ذلك وكانت تجربته مرضية مدهشة حتى أنه تشجع لتجربة أعمال أشد صعوبة كان الفوز في أحدها يقوده إلى فوز آخر

إن أكثر المخاوف شيوعاً وانتشاراً ، كالخوف من الجنون أو الاضطهاد والظلم ، أو الخوف من الأغراب والأجانب ، أو الضعة هي عادة ، نتيجة فشل الانسان في التغلب على مخاوف صغيرة كافية وقهرها بمثل هذه الطريقة التي أشرنا إليها . إلا أنها تعرى أحياناً ، إلى أن الانسان ، لسبب ما ، كالفشل في الحب ، أو موت قريب عزيز ، أو لكوارث مالية ، أو لخسارة عمل أو وظيفة — ينزوى عن الناس وينسحب من أعماله المألوفة . ويتحتم على الانسان ، إذا ما منى بكارثة ، خصوصاً ألا يتابع أعماله القديمة فحسب بل يوجه إرادته ويعزم عزماً أكيداً على أن يبدأ بمساع جديدة يستحسن أن تكون مكدة عنيفة .

ومع أن التعاميم مخطرة جداً فإني أجرأ على القول بأن في قرار معظم المخاوف فكراً مجهداً ، وجسماً خاملا ، ولهذا فأنني نصحت كثيراً من الناس في سعيهم وراء السعادة أن يقللوا من استعمال رؤوسهم ويكثروا من إستعمال أذرعهم وسيقانهم في عمل أو لعب مثمر نافع . فنحن نولد المخاوف بركوننا إلى الراحة ، ونتغلب عليها باللجوء إلى العمل ؛ وما الخوف إلا نذير الطبيعة بدعوتها إلى العمل

إن ملايين البشر الذين يعتمدون في معاشهم على المساعدات الحكومية إنما هم يربون في أنفسهم المخاوف والأوهام من حيث لايشعرون . وقد يكون من الواجب المحتم علينا أن نضع نصف سكاننا في مخيمات الخدمة الاجتماعية (C. C. C. — هي مخيمات تضم عدداً من الشبان في سن الدراسة الثانوية والجامعية العاطلة عن العمل ، تستخدمهم الحكومة الأميركية في القيام ببعض الأعمال الاجتماعية كتعبيد الطرق وبناء الجسور والمحافظة على الغابات من الحريق الخ ... لقاء أجور زهيدة تدفع قسما منها إلى أهليهم كما أنها تهذبهم في المخيمات تهذيباً منظما وتدربهم على الأعمال الفنية التي تفيدهم بعد تخرجهم فيها) حتى نستأصل شأفة المخاوف التي تقلق الأمة

والخوف في أدواره الخفيفة الأولية يتخذ شكل النفور من بعض المشاريع والاشمئزاز من بعض الناس وانتقادهم ، فيقيم بذلك شاهداً ودليلا على أن الانسان يبرر خموله المستمر .

إن العالم ملىء بالمستائين والساخطين ، غنى بالشيوعيين والنظريين الاجتماعيين ، لأنهم لا يريدون أن يغيروا أنفسهم ، يتحدثون عن تغيير نظام العالم بأسره . ويظهر أن الكثيرين منهم لايدركون انه ، في أي نظام اجتماعي ، مهما كان نوعه ولونه ، لابد من وجود مفاسد ومساوىء ، وهم بأحاديثهم يصوبون غضبهم من العالم ويسبغون على سخطهم وتذمرهم رداءً من الحكمة والتعقل بدلاً من أن يسخطوا على أنفسهم ويهبوا إلى القيام بعمل صالح نافع

(بغداد)

احمد المغربي
مدرس العلوم الاجتماعية بدار المعلمين الابتدائية

الخلــــود

L' IMMORTALITÉ

للشاعر الفرنسي الكبير لامارتين

ترجمة السيد أحمد عيتاني

أحب لامارتين « ألفير » حباً ملك عليه حواسه ومشاعره وكاد يقرب من العبادة إلا أن القدر أبى أن يمتعه بهذا الحب طويلا ، فبينما هو يقضي إلى جانب محبوبته ألذ ساعات العمر وأعذب أوقات الحياة ، إذا بالنبأ يفاجئه بأنها مريضة ومشرفة على الموت ، فينال هـذا النبأ منه وينظم آلامه وشجونه فى تلك القصيدة التي ينظر فيها إلى الموت نظرة المنقذ الذى ينقل الانسان من آلام الحياة الفانية إلى سعادة الحياة الأبدية

لقد آلت شمس أيامنا منذ فجرها إلى الاصفرار !
فهى لا تكاد ترسل نحو جباهنا الكليلة
سوى بضعة أشعة مرتجفة تقاوم الظلمة !
ولكن الظلمة تنمو ، والضياء يتلاشى ، وينمحى كل شيء ويزول !

* * *

ألا فليرتعد سواي أمام هذا المشهد ! ولتخنه قواه !
وليبتعد مرتجفاً عن شفا الهوة !
وليعجز عن الاستماع بعيداً دون أن يجزع
إلى أنشودة الموت البائسة التى يتهيأ لالتقاطها ، أو إلى الزفرات
المختنقة تصعدها حبيبة أو شقيق
فتعلق حول أطراف سريرها الكئيب !
أو إلى الناقوس المدوى ،
تنشر دقاته المضطربة بين الملأ أن فلاناً قد قضى !

* * *

سلاماً أيها الموت ! أيها المنقذ السماوى !
إنك لا تظهر لى فى هذا الشكل الرهيب
الذى ألبسك إياه الوهم والرعب زمناً طويلا !
إن ذراعك لا تحمل ذلك الخنجر الهدام !
إن جبينك ليس مرعباً ! وإن عينك ليست غادرة !
إن رباً لطيفاً يسوقك لتخفيف الآلام !
إنك لا تهلك ! إنك تنقذ !
وإن يدك لرسول سماوى يحمل شعلة إلهية !

* * *

عند ما تنطبق عينى المتعبة على ضوء النهار
ستأتى ، وتغرق جفونها بنور أشد نقاوة منه !
ويفتح أمامى الأمل ، وأنا أحلم فى القبر على مقربة منك
أبوابَ عالم أبهى من هذا العالم !

* * *

تعال إذاً وأنقذنى من قيودى الجسدية !
تعال وافتح لى سجنى ! تعال وأعرنى جناحيك !
ما يلهيك ؟ ! إظهر ! ولأقذف بنفسي أخيراً
نحو هذا الكائن المجهول : مبدأى وغايتى !

* * *

من فصلنى عنه ؟ ! من أنا ؟ ! وما يجب أن أكون ؟ !
إنى أقضى ولا أفهم معنى الحياة !
أيتها الروح ! أيها الضيف المجهول ! يا من أسائلك عبثاً !
فى أية سماء كنت تقطنين قبل أن تكونى فيّ ؟ !
أية قوة قذفت بك إلى هذه الكرة الأرضية ؟ !
وأية يد ألقت بك فى سجنك الصلصالى ؟ !
أى روابط خفية ، وأى عقد مدهشة
جعلتك تقيمين فى الجسد ، وجعلت الجسد مالكا لك !
أي يوم تنفصلين فيه عن المادة ؟
وإلى أى صرح جديد تغادرين الأرض ؟
أتنسين عندها كل شيء ؟ !
أتعودين بعد القبر إلى الحياة ؟ !
أتبدأين حياة ثانية ؟
أم ستعملين ، وقد تجردت إلى الأبد من قيودك الفانية
على التلذذ بحقوقك الخالدة
فى جوار الله مبدأك ومعادك !

* * *

أى نعم . ذاك ما أتمناه يانصيفة حياتى !
ذاك ما جعل نفسى مطمئنة
وقادرة على النظر ، دون ماذعر إلى قسمات وجهك الوسيمة
تذوى عليها ألوان ربيعك الساطعة !
ذاك ما جعلك ترينني أبتسم
وأنا أموت شاباً فريسة تلك الطمنة التى أصبت بها !
ذاك ما جعل دموع الفرح تلمع فى عينى
عند رؤيتك الأخيرة ، فى وداعنا الأخير !

* * *

« أمل باطل ! » هكذا سيقول أتباع أبيقور !
إنهم سيقولون : « يا فاقد الشعور ، يا من يخدعك غرورك الكثير !
أنظر حواليك : فكل شىء يبدأ ويتلاشى !
كل شىء يسير إلى نهاية ! وكل شىء يولد ليموت !
إنك ترى الزهرة تذوى فى تلك الحقول الصفراء !
والأرزة الشامخة تسقط فى الغابة تحت أعباء السنين لتفنى خلال الأعشاب !
إنك ترى البحار تجف في أحواضها الناضبة !
والسموات نفسها قد أخذت بالاضمحلال !
حتى الشمس ، ذلك الكوكب الذي كتم الزمن مولده
تسير مثلنا نحو الفناء !
ولسوف يبحث البشر عنها يوماً فلا يجدونها ، فيتيهون فى الفضاء الفارغ !
إنك ترى الدهور حواليك ، فى الطبيعة كلها ! تتراكم غباراً على غبار !
وإنك لترى الزمن يخطو خطوة واحدة فيطويك مع كبريائك !
وينقلب كفناً لجميع ما أنتج !
والانسان ! والانسان وحده ! يا للجنون العظيم !
يظن أن سيعود ثانية إلى الحياة فى أعماق لحده !
ويحلم بالخلود ، بعد أن حطمه الزمن
وحملته العاصفة إلى العدم !

* * *

ألا فليحبكم سواى يا فلاسفة الدنيا !
ودعوني ووهمى ! فالأمل يجب علىّ وهو حبيب إلىّ !
إن عقلنا ليتعثر ويختلط عليه الأمر
نعم إن العقل ليسكت ، ولكن القلب ليجيب !

* * *

أما أنا ، فحينما أرى الكواكب
وقد تاهت عن طريقها السوي فى السهول السماوية
يصطدم بعضها ببعض فى حقول الأثير
وتنقلب دون ما غاية في السموات المذعورة ؛
حينما أسمع الأرض تئز وتتحطم ،
حينما أرى كرتها الشاردة المنعزلة
تسبح بعيدة عن الشموس ، باكية إنسانها الهالك !
لتضل فى حقول الليل الأبدى !
حينما أكون آخر شاهد لتلك المناظر الرهيبة ؛
حينما أظل محاطاً بالموت والظلمة
وبالرغم من وحدتى وجزعى
سأمل فيك أيها الكائن الحق اللطيف
وسأنتظرك أيضاً ، وأنا فى العوالم البالية
مؤمناً بعودة الفجر الأبدى !

* * *

ما أكثر ما غمرتني وإياك تلك الظلمة ونحن بعيدان عن العالم ، يحدونا الأمل
تارة على قمم الصخور الهرمة ! وأخرى على ضفاف البحيرة الكئيبة القاحلة !
أثناء مقامنا السعيد ... حيث بدأ حبنا الخالد
لدي النظرة الأولى كما تذكرين !

* * *

لقد كانت الظلال ، وهى تنحدر من وراء الجبال
بقطعها الطويلة ، تحجبها عن أبصارنا !
فلا تلبث كواكب الليل الغريبة

بعد برهة من الزمن
إن تزحف دون ما جلبة أو أبهة
وترد على أبصارنا ما حجب عنها
وتسبغ على الأرض ثوباً من الأنوار الضئيلة
كما يسبغ المصباح نوره المقدس على المعابد المقدسة التي أضاءها النهار بنوره
فينير منها الهياكل بعد ما تأخذ أشعة السماء تدريجاً بالاصفرار !

* * *

هنا كنت تفتشين ، وكنت تنتقلين ببصري
من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض نحو السماء
وكنت تقولين : « إيه يا إلهي الخفي »
إن الطبيعة هيكل لك
إن العقل ليراك في كل بقعة تتأملها العين منها
إن هذا العالم مرآة لكمالك الذي يحاول العقل إدراكه !
وصورة له وانعكاس عنه !
إن النهار نظرتك ، والجمال بسمتك !
إن القلب ليعبدك في كل ناحية !
وإن النفس لتحيا بك !
أيها الخالد الأبدي ! أيها القدير اللطيف !
إن جميع تلك النعوت ليست كافية لتصور عظمتك !
إن العقل ليعنو أمام جوهرك العظيم !
فيمجد عظمتك حتى لدى سكوته !

* * *

إلا أنه وهو ذاك العقل المنهزم يا إلهي
حينما يشعر أن الحب سر وجوده
يندفع بذاك القانون الجليل نحوك
متشوقاً إلى حبك ومتحرقاً إلى معرفتك

* * *

لقد كنت تقولين ، وقد وحد قلبانا زفراتهما المتصاعدة
نحو هذا الكائن المجهول الذي نمت عليه آمالنا !
كنت تقولين ونحن جاثون أمامه وقد أجبناه في خلقه
وحمل إليه الفجر والمساء تمجيدنا إياه !
كنت تقولين وقد أخذت عينانا المتنشيتان
تارة تتأملان الأرض : منفانا نحن !
وأخرى تتأملان السماء مقامه هو ! :
« آه لو أن الله يستجيب دعواتنا في هذه الساعة التي تحاول بها نفسنا الفرارة خلاصها وتحطيم قيدها وإسارها !
فيرسل علينا من علياء سمائه طعنة تحررنا كلينا !
إذا لرجعت روحانا نحو مبنعهما دفعة واحدة !
ولصعدتا على جناح الحب في ثنايا اللانهاية كأنهما خيط من نور ! حتى تصلا ، وقد اجتازتا في سيرها العوالم معاً
أمام الله ، وقد ذهلتا عن ذاتيهما
فتعيشان إلى الأبد ممتزجتين فيه !

* * *

أترينّنا مخدوعين بهذه الآمال ؟ !
أصائران نحن إلى العدم ؟ !
أمقدر على أرواحنا الفناء ؟ !
أتقاسم الروح والجسد مصيره بعد خلاصها منه ! فتفنى معه في ظلمات القبر
وتتحول إلى غبار ؟ ! أو تتلاشى كما يتلاشى الصوت في الفضاء ؟ !
أو لا يبقى ، بعد الفراق الفادح واللوعة الضائمة
جزؤ يحبك من ذاك الذي كان يحبك ؟ !
آه يا إلفير ! لا تسائلي سوى نفسك عن ذلك السر العظيم !
وانظري إلى من أحبك وهو يموت
ثم أجيبي !

احمد عيتاني

عضو بعثة أساتذة جمعية المقاصد في مصر

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٢٢ —

الرافعي وعبد الله عفيفي :

لم يكن الأستاذ عبد الله عفيفي خصماً للرافعي على الحقيقة ، ولا أحسب أن أحدهما كان يرضيه أن يكون بينهما ما كان ولا سعى إليه ؛ ولكن الأستاذ عفيفي فى مكانه من ديوان جلالة الملك ، وفى موضعه عند الابراشي باشا ، قد دارت به المقادير دورتها حتى وقفته مع الرافعي وجهاً لوجه ، وجعلته بالموضع الذى لا يستطيع واحد منهما فيه أن يتجاهل أنه أمام خصم يحاول أن يظفر به . ومن هنا نشأت الخصومة بين الرافعي وعبد الله عفيفي

على أن هذه الخصومة بينهما تختلف عن سائر الخصومات التى نشبت بين الرافعي وأدباء عصره ، فهنا لم تنشأ الخصومة إلا للتزاحم على رتبة « شاعر الأمير » ؛ على حين كانت أكثر خصومات الرافعي ذياداً عن الدين وحفاظاً عن لغة القرآن ، فما كنت ترى فيها إلا التراشق بألفاظ الكفر والزيغ والمروق والإلحاد ؛ أما هنا فكانت المعركة تدور وما فيها إلا التهمة بالغفلة وفساد الذوق وضعف الرأى وقلة المعرفة ... ومابدٌّ من أن يكون فى نقد الرافعي أحد هذين اللونين : الاتهام بالزيغ ، أو الاتهام بالغفلة ، ولا ثالث لهما . ومن هنا فقط نستطيع أن نزعم أن الرافعي لم يكن موفقاً فى النقد ، مع أهليته واستعداده وإحاطته الواسعة وإحساسه الدقيق ؛ إذ كان أول ما ينبغى أن يتصف به الناقد هو عفة اللسان والاقتصاد فى التهمة وضبط النفس ...

وثمت شىء آخر يفرق بين هذه الخصومة وبين سائر الخصومات : هو أن هذه المعركة كانت إيجابية من طرف واحد ، على حين ظل الطرف الثانى صامتاً قارًّا فى موضعه ، لم ينبس بكلمة ولم تبدر منه بادرة مشهودة للدفاع ... !

***

كتب الرافعي مقالات ثلاثاً بعنوان « على السَّفُّود » فى نقد ثلاث قصائد أنشأها الأستاذ عبد الله عفيفى فى مديح الملك — والسفُّود هو الحديدة التي يُشْوَى عليها اللحم — وهو عنوان له دلالته ، وفيه الإشارة والرمز إلى ماحوت هذه المقالات من الأساليب اللاذعة والنقد الحامى . وإذ لم يكن توقيع الرافعى فى ذيل هذه المقالات ولا كان يريد أن يُعرف أنه كاتبها — فإنه خرج عن مألوفه فى الكتابة وفى نمط الكلام ، فاسترسل ماشاء كأنه يتحدث في مجلسه إلى جماعة من خاصته : لا يعنيه الأسلوب ولا جودة العبارة ولا عربية اللفظ ، بقدر مايعنيه أن يتأدّى معناه إلى قارئه في أى أسلوب وبأية عبارة ؛ فكثر الحشو فى هذه المقالات من الكلمات العامية والنكات الذائعة والأمثال الشعبية ، ولكنه إلى ذلك لم يستطع أن يتخلص من كلٍّ لوازمه فى النقد والكتابة ، فبقيت له خفة الظل وحلاوة اللفظ وقسوة النقد ، إلى بعض عبارات فى أسلوبه تنم عليه وتكشف عن سره .

ولم يذكر الرافعي حين أنشأ هذه المقالات أنه يتناول بهذا النقد شاعراً من شعراء القصر له حظوة عند رئيس الديوان الملكي ، وأن هذا الشعر الذى يفريه ويكشف عن عيبه إنما أنشأه ناظمه فى مديح الملك . أو لعل الرافعي كان يذكر ذلك ولكنه يحسب نفسه بنجوة من التهمة لأنه لم يوقع بإمضائه على هذه المقالات ؛ فلم يتحرج مما كتب ، وألقى القول على سجيته فى صراحة وعنف وقسوة ، ولم يصطنع الأدب اللائق وهو يتحدث عما ينبغي أن يكون عليه الشعر الذى يقال فى مدح الملك وما لا ينبغى أن يقال ؛ فجاء فى بعض كلامه عبارات لا يسيغها الذوق الأدبى العام عند ما يتصل موضوع القول بالملك الحى الذى يحكم ويدين له الجميع بالولاء . وكأنما ركبته طبيعةٌ غير طبيعته خيِّلت إليه أنه يكتب في نقد شاعر من الماضين يمدح ملكاً من ملوك التاريخ ، فلم ينظر إلى غير الاعتبار الأدبى الخالص من دون ماينبغى أن يُراعى من التقاليد واللباقة السياسية عند الحديث عن الملوك

وانتهت أولى هذه المقالات إلى القصر ، فالت الأفواه إلى الآذان ، وتهامس القراء همساً غير خفى ، ثم جهروا يتساءلون : من يكون هذا الكاتب ؟ ولكن أحداً منهم لم يفطن إليه ولم يعرف الجواب ، وأنفذوا دسيساً إلى الأستاذ إسماعيل مظهر صاحب العصور يسأله فلم يظفر منه بجواب

ونُشر المقال الثانى والثالث ، فلم يلبث أن انكشف السر ؛

ونم الرافعى على نفسه بلسانه فى مجالسه الخاصة ... أو نم عليه أسلوبه وطريقته فى النقد

وجاءه سائل من القصر يسأله ويستوثق من صحة الخبر فى أسلوب السياسى البارع : « ... وكيف تأذن لنفسك أن تقول ماقلت في شاعر من شعراء الملك، وأن تكتب عنه بهذا الأسلوب ؟ أفيتفق مع الولاء لصاحب العرش أن تكتب ما كتبت لتصرف الشعراء المخلصين عن ساحة الملك ... ؟ أم تريد ألا ينطق أحد بالثناء على صاحب التاج وألا يكون اسمه على لسان شاعر ؟ أم هي دسيسة تصطنع الأدب لتفض المخلصين من رعيته عن بابه ...؟»

وغص الرافعى بريقه ، وتبين الهاوية تحت قدميه يوشك أن يتردى فيها بحيلة بارعة ، وأحس الابراشى باشا من ورائه يحاول أن يدفعه بعنف لينتقم لكبريائه التى مسها الرافعى بحماقته منذ بضعة أشهر ...

وحاول النجاة بنفسه من هذه المكيدة المبيتة ، فلم يجد له وسيلةً إلا الصمت فأوى إليه . وانقطع ما بينه وبين القصر من صلات ، إلا الصلة العامة التى بين الملك وبين كل فرد من رعيته . وكان أخوف ما يخاف الرافعى أن تكون خاتمة ذلك هى انقطاع المعونة الملكية عن ولده الذى يدرس الطب فى جامعة ليون على نفقة الملك ؛ ولكن ذلك لم يكن إلا بعد هذه الحادثة بأربع سنين (فى سنة ١٩٣٤) لسبب آخر ، ولم يكن باقياً بين الدكتور الرافعى وبين الإجازة النهائية غير بضعة أشهر كما تقدم القول

***

لقد كثر ما استغلَّ خصومُ الرافعى السياسةَ لينالوا منه . ولقد كثر ما اتهموه من أنه من أدوات الإبراشى باشا فى محاربة سلطة الأمة ، وأنه صنيعته ومولاه ؛ على حين كان هذا الموقف هو كل ما بين الرافعى والإبراشى باشا من صلات الود والموالاة ! فما انقطعت صلة الرافعى بالقصر إلا فى عهد الإبراشى ، وما كان معه يوماً على صفاء . على أنه كان تلميذاً معه فى مدرسة المنصورة الابتدائية فيما أذكر ...

ولقد كتب كاتب من خصوم الرافعى غداة دالتْ دولة الإبراشى ، فصلاً مؤثراً ... بعبارات بليغة ... فى صحيفة من صحف الشعب ، يصف جناية الإبراشى باشا على الأدب ؛ وكان من براهينه على ذلك أنه اصطنع الرافعى ليحارب بقلمه ولسانه سلطة الأمة ... وقرأت هذه المقالة مع الرافعى ، ونظرت إليه فإذا هو يبتسم ابتسامة مرَّة ، ثم قال : « هذا أديب يتحدث عن جناية السياسة على الأدب ... أرأيت ... اصدَق ! لقد جنت السياسة على الأدب(١) »

***

لم يكن لهذه المقالات الثلاث التى كتبها الرافعى عن الأستاذ عبد الله عفيفى صدى فى غير هذه الدائرة المحدودة ؛ على أنها أنشأت بينهما خصومة صامتة ظلت مع الرافعى إلى آخر أيامه ، وظلت مع الأستاذ عفيفى فى أحاديثه الخاصة إلى أصدقائه ، وإلى طلابه فى كلية اللغة العربية بالأزهر ...

فلما مات المرحوم شوقي بك فى خريف سنة ١٩٣٢ ، كتب الرافعى عنه مقاله المشهور فى مجلة المقتطف ، وذكر فيما ذكر فيه أن شوقى بك لو كان مصرياً خالصَ المصرّية لما تهيأت له الأسباب النفسية التى بلغت به مبلغه فى الشعر ؛ لأن الطبيعة المصرية لا تساعد على إنضاج المواهب الشعرية ، ولا تعين على إبراز الشاعرية الكامنة فى كل نفس

هو رأى أبداه فيما أبدى من الرأى ، لم يقصد به التعريض بأحد أو الحط من مقداره . وقد يكون رأياً إلى الخطأ أو إلى الصواب ، وقد يتكافأ فيه كفّتا الخطأ والصواب ، ولكنه رأى أبداه الرافعى مجرداً من الهوى ، لا يعنى به إلا أن يستوفى عناصر بحثه . ولكن خصومه تناولوه على ألوان وفنون

أما طائفة فمالت به إلى السياسة ، وقال قائلهم : هذا رجل ليس منا ، يريد أن ينكر فضل مصر عليه وعلى آله ، فيتهمها بالعقم وركود الذهن وجمود العاطفة فيجردها من الشعراء ... ومضى فى دعواه . ذلك سلامه موسى ... !

وأما ثانيةٌ فقالت : وهذا قول يعنينا به نحن الشعراء المصريين ليجردنا من الشاعرية فى قاعدة عامة لا تستثنى أحداً إلا من انحدر إلى مصر وفى أعراقه دم غريب ... ومضت هذه الطائفة تنقض دعواه وتسفّه رأيه بما تسوق من الأمثال وتذكر من أسامى الشعراء المصريين

واتقى الأستاذ عبد الله عفيفى قلمه ليكتب فى (البلاغ)

---

(١) سنتحدث عن هذا الموضوع حديثاً أكثر صراحة فى كتابنا : « المؤثرات السياسية فى جيل من الأدباء » الذى نعده للنشر بعد الفراغ من هذه المقالات إن شاء الله

مقالاته الأسبوعية بعنوان (مصر الشاعرة) يذكر فيها من شعراء مصر فى مختلف الأجيال منذ كانت مصر العربية ، ما يراه ردًّا على دعوى الرافعى . ومضى فى هذه المقالات بضعة أسابيع يضرب على وتر واحد ، ثم ملّ هذه النغمة فراح يتصيد موضوعات أخرى من مشاهداته وآرائه في الناس والحياة ؛ ولكن عنوان (مصر الشاعرة) ظلّ على رأس هذه المقالات يبحث عن موضوعه ... فكان حسْب الأستاذ عفيفي فى هذه المقالات أن أنشأ هذا العنوان فى الرد على الرافعى ...!

***

وقد ظل الرافعى إلى آخر عمره يذكر أيامه وهو شاعر الملك ، ثم ما كان بينه وبين الابراشي ، وبينه وبين عبد الله عفيفى . وما كانت تظهر للأستاذ عفيفى فى الصحف مدحة ملكية ، فى موسم من المواسم أو عيد من الأعياد ، حتى يتناولها الرافعى فيقرأها إلى آخرها ، ثم يلتفت إلى جليسه فيقول : « ما ذا رأيت فيها من شعر ومن معنى جديد ؟ » ثم يسترسل فيما تعود من المزاح والتندر

وقد ذكرت فيما قدمت من هـذه المقالات أن الرافعى كان يسمى كل جميلة من النساء « شاعرة » ، فمنهن كالمتنبى ، ومنهن كالبحترى ، ومنهن بشار بن برد ، ومنهن عبد الله عفيفى

فهذه الأخيرة عنده هى ذلك النوع (البلدى) من نساء الطبقة الثالثة ، التى تبدو ملفوفة (محبوكة الأطراف) فى ملاءتها السوداء ، غضةً بضّة ، تستهويك بجمال الجسم دون جمال المعنى ، وفيها أنوثة الدم واللحم ولكنها جامدة العاطفة عقيم الخيال ...

معذرة إلى الأستاذ عبد الله عفيفى ! فإنما أنا راوية أكتب للتاريخ ، وما شهدت إلا بما علمت ، وعلىّ تبعة الرواية وعلى غيرى تبعة الرأى . وللأستاذ عفيفي في نفسي رغم أولئك كل إجلال واحترام

« شبرا » محمد سعيد العريان

***

إلى الأصدقاء : الأستاذ عبد الرحيم محمد عمرسى مطروح ، والأديب أحمد الصاوى فضل الله بأم درمان ، والسيدة أمينة العبدروس بواد مدنى ، والآنسة فدوى طوقان بنابلس ، والأديب السيد الصباحى ببورسعيد ، لأشكر لهم ، وستجمع هذه المقالات بعد تمامها إن شاء الله فى كتاب ، وفلانة هى هى التى عرفها كل من كتب إلى ؛ ولا أظن أن حفلة تأبين الرافعى ستقوم هذا العام لأننا لم نعرف بعد كيف يكون الوفاء لأدبائنا الراحلين . وعند الدكتور زكى مبارك أن مقالة يكتبها ، هى حسب العربية فى الوفاء لمن يموت من أدباء العربية ، ولو كان هذا الراحل هو مصطفى صادق الرافعى ! يرحمه الله !

أناشيد صوفية

جيتانجالى

للشاعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

— ٨٩ —

فى اليوم الذى يطرق الموت بابك ، ما ذا تقدم إليه ؟

آه ، سأضع أمامه كأس حياتى المترعة لكيلا يرتد صفر اليدين سأقدم له كل ما يحلو من ثمار أيام الخريف وليالى الصيف ، وكل ما كسبت والتقطت فى حياتى المليئة بالجد ... سأقدمها كلها إليه عند آخر لحظة من لحظات حياتي ... حين يطرق الموت بابى

— ٩١ —

أيها الموت ، يا من هو آخر أمل فى الحياة ، تعال واهمس فى أذنى !

الأيام تمر وأنا أرقب لقياك ؛ فمن أجلك أنشأت فى حياتى السرور والألم معاً

أنا ، وكل ما أملك ، وكل ما آمل ، وكل حين ... كل أولئك يندفع إليك فى أعماق الخفاء . إننى أبتغى النظرة الأخيرة من عينيك ثم لتكن حياتى شيئاً تملكه أنت إلى الأبد

لقد صففت الزهور ، والأكاليل تنتظر العروس . وبعد العرس ستنقلب العروس من دارها لتلتقى سيدها — فى خلوة — فى هدأة الليل وسكونه

— ٩١ —

أنا أوقن بأن اليوم الذى أحرم فيه النظر إلى الأرض آت لا ريب فيه ! وأن روحى ستفزع عنى فى صمت . فيسدل على عينى آخر ستار من أستارها

ولكن النجوم ما تزال تتألق فى غسق الليل ، والصبح ما يبرح يتنفس فى حينه ، والساعات تمر جياشة كأنها الموج المضطرب وفيها اللذة والألم فى وقت معاً

وحين تتراءى لى ساعتى الأخيرة يتصدع أمام عينى حجاب الزمن . فأرى من خلال لمعات الموت ... أرى دنياك وفيها

كنوزها المهملة ؛ وما فيها سوى منزلٍ وضيع وحياة حقيرة

دع كل ما أندفع عبثاً فى إثره وكل ما أصيبه ... دعه يمر ولـكن مُنَّ علىّ بكل ما كنت أزدريه وأعرض عنه

— ٩٢ —

لقد اعتزمت الرحيل فودعونى يا إخوتى ! سأنحنى لـكم جميعاً فى رفق ثم أنطلق

ها كم مفانيح دارى تخذوها ... سأنزل لـكم عن حق فيها ... ولن أطلب إليكم شيئاً سوى كلمة عطف

لقد تجاورنا طويلا ؛ ولقد نلت أكثر مما أستطيع أن أعطي والآن ابتسم الفجر وفزع عني السراج الذى أضاء ركنى المظلم زماناً ؛ ونادانى الداعى ، وهأنذا على استعداد للرحيل

— ٩٣ —

فى ساعة الرحيل ، تمنوا لى السعادة ، يا رفاق ! فالفجر يلمع فى السماء والطريق أمامى لاحب جميل

ولا تسألوا عما أزود به فأنا أندفع فى طريقى قفر اليدين ممتلئ القلب بالإيمان

سألبس إكليل العرس ، ولن ألبس ثياب الرحيل الحمراء القاتمة ؛ ورغم أن فى الطريق مخاوف فقلبى مطمئن ساكن

ستبزغ نجوم الليل حين تنتهى رحلتى ، سترن فى مسمعىّ ألحان الدجى الشجية تتصاعد عند باب ملك الملوك

— ٩٤ —

لم يكن لى أن أعرف اللحظة التى أخطو فيها خطواتي الأولى نحو الحياة

أى قوة جعلتنى أتفتح فى هذه المتاهة الواسعة كما يتفتح كم غضّ فى مضلاّت الصحراء تحت ستر الظلام

وعلى ضوء الصباح فتحت عينى فما استشعرت فى نفسي الغربة عن هذه الدنيا ؛ لأن قوة خفية لا اسم لها ولا شكل ، ضمتنى إليها تهدهدنى كأنها أمى

بمثل هذا ستبدو أمامى هذه القوة الخفية نفسها ... ستبدو عند موتى كما عهدتها ، وكما أحببت الحياة سأحب الموت

إن الطفل ليصيح حين تنتزعه أمه عن ثديها الأيمن . ولـكنه سرعان ما يجد فى الثدى الأيسر سلوة وعزاء

— ٩٥ —

فلتكن كلمة وداعى حين أبرح هى : إن ما رأيته هنا هو المثل الأعلى

لقد رشفت بعض الرحيق الخفى من زهرة اللوتس المنشورة على محيط النور . لهذا فأنا سعيد ... فلتكن هذه هى كلمة وداعى

وفى هذا الملعب اللانهائى وجدت نفسى لهوها ؛ وفيه استطعت أن أنظر إليه نظرة خاطفة ... إليه هو الذى لا شكل له

وارتعد جسمى كله واضطربت أطرافى بلمسة من لمسانه هو... هو الذى لا يلمس ؛ وإذا حان حَيْنى فليأت ... فلتكن هذه هى كلمة وداعى

— ٩٦ —

حين أجد لذتى معك لن أسأل : من عسى أن تـكون ؛ فأنا لا أعرف الخداع ولا الخوف ، لأن حياتى كانت صاخبة

وفى بكرة الصباح ستوقظنى من غفوتى فى رفق كأنك صديقى ، ثم تقودنى في سرعة من طريق إلى طريق

أنا — فى هذه الأيام — لا يعنينى أن أدرك معنى الأغانى التى تترنم لى بها ؛ غير أن صوتى يوقع اللحن ، وقلبى يرقص على النغم

والآن ، وقد تصرم زمان اللعب ، ماذا عسى أن تكون هذه النظرات الفجائية التى تتساقط على ؟ إن الدنيا مطرقة فى خشوع ونظراتها معلقة بقدميك وكواكبها صامتة

كامل محمود حبيب

فى المهرجان الملكى

هنيئاً لك اليوم السعيد !!

للأستاذ على الجارم بك

صفا ورده عذبا ، وطابت مناهله ... وجلَّت يد الدهر الذي عز نائله
وأقبل منقاد العنان مذللا ... تطامن متناه ، ودانت صوائله
يطأطئ للفاروق رأساً وتنحنى ... أمام سنا الملْك المهيب كواهله
تلفت فى الآفاق شرقاً ومغربا ... فلم يرَ فى أنحائها من يماثله
رأى ما رأى! لم يلق عزماً كعزمه ... تقد مواضيه ، وتفرى مناصله
يذوب مضاء السيف عند مضائه ... فما هو إلا غمده وحمائله
إذا ما انتضاه فالسعود أعنة ... إلى ما يرجى ، والليالى رواحله
رأى طلعة لو أن للبدر مثلها ... لما انحدرت دون النجوم منازله
عليها شعاع لو رمى حائل الدجى ... لفاخروجه الصبح فى الحسن حائله
تراها فتغضى للجلال ، وربما ... تشوف لحظ العين لو جال جائله
هو الشمس يدنو فى الظهيرة ضوءها ... ويصعب مرآها على من يحاوله
هو الروض ، أو أزهى من الروض نضرة ... إذا داعبت وجه الربيع خمائله
هو الأمل البسام ، رف جناحه ... فطارت به من كل قلب بلابله
هو الكوكب اللماح ، يسطع بالمنى ... وتنطق بالغيث العميم مخايله
ترى بسمة الآمال فى بسماته ... وتلمح سر النبل حين تقابله
شباب كما يصفو اللجين ، كأنما ... تملأ من ماء الفراديس ناهله
يفديه غصن الدوح ريان ناضراً ... إذا اهتز فى كف النسائم مائله
تطلع رمح الخط يبغى اعتداله ... فعاد حسيراً ينكت الأرض ذابله
ومن أين للرمح المثقف عزمه ... ومن أين للرمح الطويل طوائله ؟
إذا حفزته الحادثات رأيته ... وقد شك أحشاء الحوادث عامله
علاء تحدى الدهر فى بُعد شأوه ... فمن ذا يدانيه ؟ ومن ذا يفاضله ؟
ورأى كأنفاس الصباح وقد بدا ... تشف مجاليه ، وتهفو غلائله
وخلق كمخضل النسيم بروضة ... ذوائبه نفاحة وجدائله
يمس جبين النيل فى رفق عاشق ... وتفتح أكمام الزهور مساحله

* * *

دعوت إليك الشعر فانقاد صعبه ... وقد كان قبل اليوم شُمساً جوافله
وما كدت أدعو الوحى حتى سمعته ... تبادهنى آياته ورسائله
خيال إذا أرسلتُهُ إثرَ نافر ... أتت بأعز الآبدات حبائله
ولفظ كوجه الروض فى ميعة الضحى ... وقد صدحت فوق الغصون عنادله
إذا قلته ألقى عطارد سمعه ... وساءل شمس الأفق من هو قائله
وإن سارت الريح الهبوب بجرسه ... فآخر أكناف الوجود مراحله
إذا ذكر الفاروق فاض معينه ... ونجت قوافيه ، وعبَّت حوافله
يقول وما لى حين أكتب قوله ... من الفضل شيء غير أنى ناقله
رأى ملكاً يحيا القريض بوصفه ... فضائله جلت ، وعمت فواضله
رأى ملكاً يزهى به الدين والتقى ... شمائل أملاك السماء شمائله
رأى ملكاً كالنيل ، أما عطاؤه ... فغمر ، وأما المكرمات فساحله
فغرد بالأجواء باسمك طيره ... وردد فى الآفاق ذكرك هادله
وصاغت لك التبر المصفى فنونه ... وحاكت لك البرد الموشى أنامله
ولم يبق من نسج السحائب زهرة ... ترف ندى إلا حوتها فواصله
وصب شعاع الشمس تاج مهابة ... لمن توجته بالفخار فضائله
وفك رموز السحر من أرض بابل ... لأجلك حتى استنجدت بك بابله
أعدت له عهد الرشيد فأسرعت ... إلى سدة الفاروق تشدو بلابله
وما أنت فى الأملاك إلا قصيده ... تفاعليها البر الذى أنت فاعله
يهب طريح الشعر فى دولة النهى ... وتلهم أسرار البيان مقاوله

* * *

حملت له الريحان يوم زفافه ... نضير الحواشى ينشر المسك خاضله
أزاحم للفاروق حشداً كأنه ... خضم من الأمواج ، ضاقت سبائله
يغطى أديم الأرض عن اختراقه ... وسدت على أقوى الرجال مداخله
إذا أنت لم تعرف مدى أخرياته ... فسل طرفك المحدود أين أوائله
حملت له الريحان ، أرفع معصمى ... إلى الملك الفرد الذى فاز آمله
وقد ملأ الأنس الوجوه فأشرقت ... من البشر حتى كاد يقطر سائله
طلعت على الجمع الحفيل بموكب ... يبادلك الشعب المنى ، وتبادله
مواكب لم يعرف لرمسيس مثلها ... ولا خطرت فى مثلهن قنابله
يحيط بها عز المليك ومجده ... وتزحمها فرسانه وصواهله
إذا امتلك الحب النفوس هفت له ... سراعا ، وأعطت فوق ما هو سائله
رأوك فمالوا بالهتاف كأنما ... ينافس ند نده ويساجله

كأنهم جيش الغمائم أرقت رواعده جفن الدجى وزواجله
فلا عين إلا وهى ترتقب المنى ولا صدر إلا فارح القلب جاذله
وقد رفعت أعلام مصر خوافقاً يغازلهـا مس الصبا وتغازله
فإن كان من عين ، فإنك نورها وإن كان من قلب ، فانك آهله
وإن كان من دهر فأنت نعيمه وإن كان من فضل ، فانك باذله
رأى فيك هذا الشعب آماله التى تمنى على الأيام وهى تماطله
أحبك حتى صار حبك روحه ونور أمانيـــه الذى لا يزايله
فمن شاء برهاناً على صادق الهوى فتلك الجموع الزاخرات دلائله
نثرت بذور الحب فى كل مهجة وتلك التى تهفو إليك سنابله
حيـاتك يا فاروق للدين عصمة وأعمالك الغر الجسام معاقله
منابره تهتز باسمـــك فوقها وتلتف من شوق عليك محافله
تعفر بالترب الجبين الذي عنا له الشرق وانقادت إليه جحافله
له لمعات المشرقي ازدهت به على كل أبنـاء الغمود صياقله
لياليك أقمار الزمان وسعده وأيامك البيض الحسان أصائله
قد اختارك الرحمن موضع فضله إذا عز موصول فقد جل واصله

***

هنيئاً لك اليوم السعيد الذى زها على الدهر لمـا لم يجد ما يشاكله
يذكرنا المأمون يوم زفافه وقد مشت الدنيا إليـه تجامله
وسال به سيل النضار كأنما تفجر من بين السحائب وابله
وأين من المأمون أو من زفافه جلالة ملك أعجزت من يطاوله؟
أبى الدهر أن ياتى ليومك ثانياً يقاربه فى نبـــله أو يعادله
تخيرت من وادى الكنانة زهرة تتيه بهـا جناته وظلائله
فريدة مجد ، يعرف المجد قدرها وتزهى بهـا يوم الفخار عقائله
ودرة خدر أقسم الخدر أنه على مثلها لم تُلق يوماً سدائله
يتيه بها ضافى الشباب ونضره وتسمو حواليه بها ، وعواطله
تخيرتها فوق السحاب مكانة وأصفى من الماء الذى هو حامله
خباها إلـه العرش أكبر نعمة فجلت أياديه ، وعمت جـلائله
فعش فى رفاء بالبنين ممتعاً يضيء بك الوادي، ويخضر ماحله
ودم لبني مصر أماناً ورحمة فأنت حمى النيل الوفى ، وعاهله

على الجارم



أقصوصة سيكلوجية من تاى بوبل

كيف تنفس في قلبها الحب

للأستاذ دريني خشبة

كانت تجلس هي وجدتها العجوز الحيزبون فوق حيد الجبل على مقعد خشبي صنع لهما خصيصاً في هذه الجهة لكثرة ما بسق فيها من الأيك ... وكانت السماء ترسل عليها مدراراً من الغيث ، وكان الهواء بالرغم من ذلك دافئاً جميلا منعشاً

وكانت الفتاة تتلو في كتاب عن الأدب الانجليزي ، والجدة مصغية ساكنة ، فلما انهمرت شآبيب المطر أقفلت الفتاة كتابها ، وراحت تصغى بدورها لهذه المحاضرة الطويلة الممتعة التي أنشأت جدتها تلقيها في حماسة عن اللغة والأدب ، وعن دكنز وإليوت وثاكراى وغيرهم من فحول رجال الأدب في العصر الفكتوري وتنعى على الأدباء في هذا العصر هراءهم الذي يؤلفون فيه الكتب من غير أن تكون لهم مُثل عليا يؤلفون من أجلها ، ويبشرون بها بين الناس ...

وكانت الجدة لا تبالى أن تضرب لحفيدتها الأمثال بما ورد في قصص أولئك الفحول عن الحياة والعمل والأخلاق ... والحب ...

فهذه بكى شارب بطلة قصة ثاكراى الخالدة [1] لا ترى شيئاً في أن تنفع زوجها بمجازفة غرامية يكون فيها حبيبها رجلاً شيخاً ضعيفاً ... وهذا لورد لستر في قصة سكوت [2] لا يرى بأساً في أن تُقتل حبيبته إيمي حتى لا تقف عقبة في سبيله إلى عرش انجلترا ... وهذا فلان ، ثم ذاك فلان ... أما في هذا العصر ... فماذا يصنع الأدباء ؟ !

(١) يقصد المؤلف قصة سوق الأباطيل Vanity Fair

(٢) يقصد المؤلف قصة كنلورث وكانت اليصابات تهوى اللورد

وكانت الأمثال التي تضربها الجدة المتحمسة تطن في أذن الفتاة الصغيرة كما يطن النحل في الخلية الفارغة ... ذلك أن فؤادها كان خالياً من هذا الوحى الجديد الذي نبه فيه غرائز حواء ، من غير أن تعرف الفتاة علة هذا القبس المقدس الذي بدأ يذكو في أعماقها ، والذي نعرف سلفاً أنه فجر الحب وخيطه الأبيض الجميل

ثم حدث أن أقبل فتى وفتاة في هذه اللحظة ، وطفقا يتوقلان [1] في الجبل ، فلما جاوزا ، نظرت الجدة إلى الشاب نظرة المشغوف الظمئ ... ثم رددت طرفها في الفتاة كأنما استيقظ في فؤادها العجوز ماضيه الجميل الوارف المندّى ... المفعم بالمغامرات ! !

وصعد الفتى والفتاة ... وظلت العجوز تتبعهما بعينيها المشوقتين ... وكانت الفتاة قد حسرت عن ساقيها خشية أن يصيب الوحل حاشية ثوبها الوردي الهفهاف ، فبدا جزء عظيم من الساقين الجميلتين ... وكانت تدلف أمام الفتى ، فحسبت العجوز وغالت في الحسبة ؛ ثم التفتت إلى حفيدتها تقول : « عجيب جداً أمر هذا الفتى وهذه الفتاة ! كل يوم في هذه الساعة يقبلان إلى الجبل ويصعدان فيه ، ويغيبان في الدوح ... ان هذا أمر يثير الشك ، ويبعث على الريب ! ترى ماذا يصنعان ثمت ؟ شاب ريان يتدفق الدم حارًّا في عروقه ، وله قلب ينبض بموسيقى الحياة ، وفم تخرج منه الكلمات عذبة سحرية ، وعينان زرقاوان ترتسم فيهما صوَر هذه الدنيا لا كما ترتسم في عينين سواهما ... ووجه مشرق وثغر باسم . يخلو بهذه الفتاة في تلك الغابة لغير ماسبب ! ومع ذلك فالفتاة غضة يانعة . تتأرج كما تتأرج الزهرة إبان الربيع ويتورد خداها كما تتورد تيجانه ... يا للساقين ! ! أبداً لا يخلب ألباب الشباب مثلهما أبداً ! ! ... »

ثم أفاقت الجدة من سكرتها فوجدت حفيدتها ذاهلة عن

(١) وقل في الجبل وتوقل صعد

نفسها وقد أخذت القناديل الرائعة التي تحترق في سويدائها تشع السناء من عينيها ، وأرهفت أذنيها تتلقفان الكلام العجيب الحلو الذي كان يخرج من فم الجدة ، والذي لم تكن الفتاة تحسن أن تقول مثله

— « ترى ؟ فيم تساؤل جدتي عن الفتى والفتاة ؟ وفيم خلوتهما بين الأيك في مثل هذا الوقت من كل يوم ؟ وأي شك يثيره أمرهما ثمت ؟ شاب ريان ! ألا ما أجمل هذا الوصف البديع وأنا أفهم أن يكون الانسان ريانا ، ولكن ما هذه الدماء الحارة التي تتصبب في عروق هذا الشاب ؟! ذاك شيء غريب لا أفهمه ! وهذه الموسيقى التي ينبض بها قلبه ما ذا تكون ؟ ولماذا تكون في قلبه موسيقى ؟ ولم لا تكون الموسيقى في أذنيه كما هي في آذان جميع الناس ؟ أية موسيقى هذه التي تكون في القلب يا ترى ..؟ وكلماته العذبة السحرية ما هي ؟ قد تكون من صنف هذه الكلمات التي تقولها جدتي ... إنها تكون جميلة جداً إذا استطاع الشاب أن يقول مثلها ؛ وأحسبه لا يستطيع ، لأن جدتي كبيرة ، وقد قرأت كثيراً في الأدب ، ووعت كل ما جاء في القصص ... وأنا نفسي لا أشعر بأية طلاوة فيما ترغمني على قراءته لها في هذا الكتاب العتيق الجاف ، مع أنها تكاد ترقص طرباً عند بعض فقراته ؛ ولا أدري لماذا تفرح بهذا الهراء السخيف الذي لا أفهمه . لقد قصت عليّ من أمر بكّا شارب والفتاة المسكينة إيمي ، وكان قصارى حكمي على شارب أنها سافلة قليلة الأدب لأنها لم تحب زوجها كما أحب أنا أمي . وبمثل ذلك حكمت على هذا اللورد التاعس ليستر الذي ضحى إيمي ليتزوج الملكة ... ولكن ... لماذا حزنت إيمي ؟ ولماذا أحبته ؟ هل كانت يتيمة ليس لها أم تحبها ولا أب يحبه ؟ ولكن هذا كله ما قيمته إذا قيس بالموسيقى التي ينبض بها قلب الشاب ... »

ومرت هذه الخواطر كلها في قلب الفتاة في اللحظة القصيرة التي تلت صمت الجدة ، ثم سألتها حفيدة في سذاجة الصبي وطهارته

— « بالله ياجدة ! ما هذه الموسيقى التي ينبض بها قلب أحد من الناس ؟ »

وانفرج فم العجوز عن ابتسامة كبيرة ، ثم ربتت بأناملها المرتجفة على خد الصغيرة ، وقالت لها : « اقرئي » ، وأطاعت الفتاة ، وراحت تقرأ كالببغاء ، ولا تكاد تفقه شيئاً مما تقرأ

***

واعتدل الجو ، وسكنت الريح ، واهتز النبات ينفض قطرات المطر كالطيور الصغيرة ... وانتشرت عصافير السنونو في السهل الفياح توقع على شجيراته ألحانها ، وأشرقت الشمس لتشترك في مهرجان الطبيعة بآرادها الذهبية الناصعة ... ولبثت العجوز تنتظر عودة الفتى والفتاة بنفس مشوقة وقلب خفيق ، حتى أقبلا آخر الأمر ، وفي وجه الفتى صفرة وفي ساقيه رجفة ، وقد مشت الفتاة هذه المرة في إثره ، لا تعرف العجوز لماذا ...

ولما جاوزا أرسل الفتى نظرة وسنانة من عينيه النافذتين ناحية فتاتنا حفيدة العجوز ... ثم مضى في سبيله حتى كان في سفح الجبل .. وهنا نهضت عجوزنا مهرولة إلى السفح كذلك ، وحفيدتها تتعثر في خطاها خلفها ، وفي قلبها سرب من الهواجس عن هذه الموسيقى التي تستطيع القلوب أن تنبض بها ... ثم عن هذه النظرة التي رمقها بها الشاب العابر ، والتي لم تعرف بم تفسرها ..

« إنه شاب ريان كما ذكرت جدتي ، وإن له لعينين نفاذتين كما قالت ... ولكني لم ألمسه حتى أحس دمه الذي يتدفق في عروقه فأعرف إذا كان حاراً حقاً ... وكذلك قلبه الذي ينبض بالموسيقى ... لابد لكي يسمعها الإنسان من أن تكون له (سماعة) طبيب أو على الأقل ، لابد من أن يضع الانسان أذنه فوق صدره ، ليعرف ما هنالك .. على أن وجهه أصفر كاللوتس .. فما السبب يا ترى ؟ هل هو مريض ... ؟ »

وظلت هذه الهواجس تضطرب في صدرها ، وجدتها تنهب الطريق في إثر الفتى والفتاة ، حتى إذا كانت حذاءهما ، أقرأتهما سلاماً جميلا ، فرداه أحسن رد وأطيبه ، وافتر فم الشاب عن ابتسامة حلوة حيا بها الفتاة ... فلم تدر كيف ترد عليه ابتسامته...

وجلست الفتاة تقرأ لجدتها في ضوء مصباح عليل . وجدتها ما تلبث أن تتثاءب وتتثاءب ... حتى تضايقت حفيدتها من ذلك ولم تبال أن تقول :

— إذن نبقى القراءة إلى الصباح ياجدة ، ولا بد أن تذكري لي شيئاً عن هذه الموسيقى العجيبة التي تنبض بها القلوب

فقهقهت الجدة حتى بدت نواجذها وقالت : هل تذكرين حيناً كنت أزوركم وذهبنا في المساء إلى (السرك) ؟ فلما انتهت الموسيقى قلت لكم إنها لبّاخ ؟ » فعبست الفتاة ، وقالت : « ومن

باخ يا جدة ؟ » فأجابتها : « موسيقي عظيم يا تلدا » فقالت تلدا : « وما شأنه فيما سألتك عنه ؟ » فقالت الجدة : لقد كان باخ يوقع على بيانه بأنامله ، وفى الحقيقة لقد كان يوقع عليه بقلبه؟ » فتجهمت تلدا وقالت : « تعنين أنه كان يتكىء على البيان بصدره؟ فتضاحكت العجوز وزجرت تلدا ، ثم قالت لها : « هذه يا تلدا أشياء كالعلوم التى تتلقنيها فى المدرسة ، هل تستطيع فتاة فى السنة الأولى أن تفهم درساً من دروس السنة الخامسة ؟ » فهزت الفتاة رأسها الجميل وقالت : « طبعاً هذا غير ممكن ! » فقالت الجدة : « فهذا مثل ذاك يا بنية ! » ثم أمرتها أن تقرأ ، ففتحت الكتاب وما كادت تقلب صفحاته باحثة عن الباب الذى كانت تتلوه ، حتى تثاءبت جدتها بشدة ، فجعلت تلدا تقلب وتقلب إلى أن أغمضت العجوز عينيها ، وألقت على سنادة الكرسى رأسها ، وغطت فى سبات عميق

***

وقذفت تلدا الكتاب على سريرها ، ثم انطلقت إلى مكتبة جدتها فجعلت تقلب فى الكتب ، وتنظر إلى الرسوم والصور ، حتى عثرت آخر الأمر على قصة دانتى الرائعة المسماة (الكوميديا الإلهية) ، وكانت نسخة هذه القصة مصورة حافلة بالرسوم الزاهية بالألوان الطبيعية ... فجلست تتفرج بها ، وتنعم النظر فيها ، حتى اهتدت إلى الصورة الخالدة الباهرة ، صورة پولو وفرنشسكا ، وهما متعانقان فى الجحيم ، وقد انطبق فم پولو على ثغر حبيبته ، وراح يقبلها تقبيلا حاراً ، يخفف عنهما ما هما فيه من عذاب السعير

ولبثت تلدا تنظر فى الصورة وتتعجب ... « ترى ماذا يصنع هذا الشاب الريان فى هذه النار المتقدة ؟ إنه يضع وجهه فى وجه امرأة ويقبلها كما تقبلنى أمى حينما أكون مغضبة ! ألا يحس هذه النار المتأججة حوله ؟ هل هذه المرأة ابنته ؟ لا شك أنها ابنته ، وإلا فلماذا يقبلها ! »

ثم قرأت فى أسفل الصورة هذه السطور :

« پولو يقبّل حبيبته فرنشسكا فى سواء الجحيم ، غير عابئ بالنيران التى تشتعل فى ساقيه وتلتهب من حوله ... وهكذا قضى الله أن يكون الحب عزاء للمحبين حتى فى وهادِ سقر ... فهو الماء العلوى الذى يطفئ النار المندلعة بين جوانحهم والقبلة ثمرته المشتهاة ، وتَمْرُه وجناه ! »

وبرقت عينا تلدا ، وحملت الكتاب ذا الصور إلى حيث راحت جدتها تغط وتزعج البوم بشخيرها :

— جدة ، جدة ، استيقظى !

— ماذا ... ما ... ذا ...

— استيقظى وحياةِ أبيك !

— ماذا يا تلدا ؟ لماذا لا تقرئين ؟

— ها أنا ذى أقرأ والله ! اسمعى :

ثم شرعت الفتاة تقرأ السطور التى تحت صورة پولو وفرنشسكا !

— ما هذا يا تلدا ؟ ! الكتاب تأريخ للأدب الإنجليزى ، وپولو وفرنشسكا شخصان خرافيان اخترعهما دانتى الإيطالى ! هاتى الكتاب !

وتناولت العجوز الكتاب ، ونظرت فى الصورة ، ثم عبست وبسرت وأقفلته لترى ما هو ...

— هذه كوميدية دانتى من أين جئت بها ؟

— من المكتبة ...

— آه ياخبيثة ... كان يجب أن أبقى المفتاح معى ... الصور التى من صنف هذه الصورة ، والموسيقى التى تنبض بها القلوب ، من دروس السنة الخامسة ، ولا تستطيع تلميذة السنة الأولى أن تفهم دروس السنة الخامسة !

***

وفى صبيحة اليوم التالى قرع الباب قادم فأهرعت تلدا لتلقاه

— أهو أنت ؟

— أجل ، هو أنا !

— وأين الفتاة التى كانت معك أمس فوق الجبل ؟

— فى المنزل

— وما هذا الورد الجميل ! أتُعطينى وردة ؟ !

— إنه كله لك !

— كله ؟ !

— أجل ...

— والفتاة التى كانت معك ، ألا تأخذ منه شيئاً ؟

— إنها أختى !

— أختك ؟ وهل أختك لا تحب الورد ؟

— ومن ذا الذى لا يحب الورد ؟ إنها تحبه جداً

— إذن لا آخذه كله يجب أن تبقى بعضه لأختك

ثم صاحت جدتها تسألها مع من تتكلم ، فقالت للشاب :

— ما اسمك أيها الشاب ... الر ... يان ؟

— ڤكتور !

فصاحت تجيب جدتها :

إنه ڤكتور يا جدة !

— ڤكتور ؟ ! ومن ڤكتور ؟

— أجل ڤكتور ... الشاب الذي رأيناه على الجبل أمس

وأقبلت العجوز الحيزبون مُهرْولة فسلمت على الشاب ودعته إلى حجرة الجلوس ، فدخل ومعه باقة الأزهار الكبيرة

— مرحباً بك يا ڤكتور ، كم أنا سعيدة بك

وكانت تتكلم وذكرياتها القديمة ثائرة كلها فى صدرها العجوز والدم العجوز يتدفق فى عروقها الضعيفة ... والمفاجأة الحلوة تعقد لسانها فتأخذها ربكة مضحكة

— هذا الورد جميل ... أوه ... ذاك سَوْسَن ما أبهاه ! وبنفسج ، لمن حملت كل هذا يامسيو ڤكتور ؟

— لـ ... لهذه الأخت الصغيرة ... و ... لك يا أماه

وبلعت العجوز ريقها ، ونظرت إلى حفيدتها فى حنق ، وقالت للشاب :

— والفتاة الجميلة التى كانت معك أمس ؟

فقالت تلدا :

— إنها أخته يا جَدّة

— أخته ؟ أحقاً هي أختك ؟

فقال الفتى : « إى وربى ، إنها أختى »

فقالت العجوز : « إذن ... احمل هذه الباقة إليها ... فهى بها أحق ... »

فقال الشاب : « ولكنى قطفتها بِيدَىّ من حديقتى هدية لحفيدتك ! »

وتدخلت تلدا فقالت له : « من حديقتك ؟ إذن أنت تملك حديقة ؟ »

فقال لها : « أجل ، وهى حديقة غناء ، تليق بك »

فقالت له : « وهل تأذن لى فى زيارتها ؟ »

فقال : « ولم لا ... إنك تكونين أبهى زهرة فيها ... »

ولم تطق العجوز أن تسمع إلى كل ذلك ، فصرخت صائحة « كفى ! حَسْبُك ، أرجوك »

بيد أن الفتى ما زال بها حتى وعدت أن تزوره فى صحبة حفيدتها بعد يوم أو يومين

***

وكثرت زيارات العائلة المقدسة لحديقة الفتى ، وتوثقت بينهما عرى الصداقة والتحاب ، وكانت أخته الجميلة التى حسبتها العجوز حبيبته من قبل تلقاها فيأنسان إليها

وذهبت تلدا مرة وحدها تزور حديقة فكتور ففرح بها أيما فرح ، وقطف لها أحسن وردة وأبهاها ، وجاءها بتفاحة كبيرة حمراء ؛ ثم جلس بجانبها برهة ، وجعل يحدق فيها بصره

ثم اقترب منها فلم تبتعد ...

ولمس جسمه جسمها فأحست بدفء ولكن ليس كالدفء الذى ينبعث من النار ... ثم لمحت فى عينيه شيئاً غريباً فلم تجسر أن تسأله عنه ... ثم مد إليها يده فمدت إليه يدها ... فأخذها فى كلتا راحتيه

وتركت الأزهار تسقط على العشب أمامهما

وأبصرت عبرة تترقرق فى عينيه فسألته لماذا يبكى ؟ فلم يجب ثم ارتبك قليلاً وقال لها بلسان متلعثم : « تلدا ! » فقالت له : « نعم يا ڤكتور ؟ » فقال لها والخجل يبعثر الحروف من شفتيه : « أتأذنين لى فى ... قُبْلة ... ؟ »

***

وسمعا وراءهما هاتفاً يقول :

« فرنشسكا ... بَوْلو ... »

فنظرا ... فإذا هى الجدة العجوز الحيزبون

وكان هذا فى سن تلدا التى لم تبلغ الثالثة عشرة ... وبعد ثلاث سنين أُخر ... كانت موسيقى جميلة تصدح فى حديقة فكتور ، انتظاراً لقدوم عروسه تلدا

دريني خشبة

— أختك ؟ وهل أختك لا تحب الورد ؟

— ومن ذا الذى لا يحب الورد ؟ إنها تحبه جدّاً

— إذن لا آخذه كله يجب أن تبقى بعضه لأختك

ثم صاحت جدّتها تسألها مع من تتكلم ، فقالت للشاب :

— ما اسمك أيها الشاب ... الر ... يان ؟

— ڤكتور !

فصاحت تجيب جدتها :

إنه ڤكتور يا جدة !

— ڤكتور ؟ ! ومن ڤكتور ؟

— أجل فكتور ... الشاب الذي رأيناه على الجبل أمس

وأقبلت العجوز الحيزبون مُهرْولة فسلمت على الشاب ودعته إلى حجرة الجلوس ، فدخل ومعه باقة الأزهار الكبيرة

— مرحباً بك يا فكتور ، كم أنا سعيدة بك

وكانت تتكلم وذكرياتها القديمة ثائرة كلها فى صدرها العجوز والدم العجوز يتدفق فى عروقها الضعيفة ... والمفاجأة الحلوة تعقد لسانها فتأخذها ربكة مضحكة

— هذا الورد جميل ... أوه ... ذاك سَوْسَن ما أبهاه ! وبنفسج ، لمن حملت كل هذا يامسيو فكتور ؟

— لـ ... لهذه الأخت الصغيرة ... و ... لك يا أماه

وبلعت العجوز ريقها ، ونظرت إلى حفيدتها فى حنق ، وقالت للشاب :

— والفتاة الجميلة التى كانت معك أمس ؟

فقالت تلدا :

— إنها أخته يا جدّة

— أخته ؟ أحقاً هي أختك ؟

فقال الفتى : « إى وربى ، إنها أختى »

فقالت العجوز : « إذن ... احمل هذه الباقة إليها ... فهى بها أحق ... »

فقال الشاب : « ولكنى قطفتها بِيدَىَّ من حديقتى هدية لحفيدتك ! »

وتدخلت تلدا فقالت له : « من حديقتك ؟ إذن أنت تملك حديقة ؟ »

فقال لها : « أجل ، وهى حديقة غناء ، تليق بك »

فقالت له : « وهل تأذن لى فى زيارتها ؟ »

فقال : « ولم لا ... إنك تكونين أبهى زهرة فيها ... »

ولم تطق العجوز أن تسمع إلى كل ذلك ، فصرخت صائحة « كفى ! حَسْبُك ، أرجوك »

بيد أن الفتى ما زال بها حتى وعدت أن تزوره فى صحبة حفيدتها بعد يوم أو يومين

***

وكثرت زيارات العائلة المقدسة لحديقة الفتى ، وتوثقت بينهما عرى الصداقة والتحاب ، وكانت أخته الجميلة التى حسبتها العجوز حبيبته من قبل تلقاها فيأنسان إليها

وذهبت تلدا مرة وحدها تزور حديقة فكتور ففرح بها أيما فرح ، وقطف لها أحسن وردة وأبهاها ، وجاءها بتفاحة كبيرة حمراء ؛ ثم جلس بجانبها برهة ، وجعل يحدق فيها بصره

ثم اقترب منها فلم تبتعد ...

ولمس جسمه جسمها فأحست بدفء ولكن ليس كالدفء الذى ينبعث من النار ... ثم لمحت فى عينيه شيئاً غريباً فلم تجسر أن تسأله عنه ... ثم مد إليها يده فمدت إليه يدها ... فأخذها فى كلتا راحتيه

وتركت الأزهار تسقط على العشب أمامهما

وأبصرت عبرة تترقرق فى عينيه فسألته لماذا يبكى ؟ فلم يجب ثم ارتبك قليلاً وقال لها بلسان متلعثم : « تلدا ! » فقالت له : « نعم يا ڤكتور ؟ » فقال لها والخجل يبعثر الحروف من شفتيه : « أتأذنين لى فى ... قُبْـلة ... ؟ »

***

وسمعا وراءهما هاتفاً يقول :

« فرنشسكا ... پَوْلو ... »

فنظرا ... فإذا هى الجدة العجوز الحيزبون

وكان هذا فى سن تلدا التى لم تبلغ الثالثة عشرة ... وبعد ثلاث سنين أُخر ... كانت موسيقى جميلة تصدح فى حديقة فكتور ، انتظاراً لقدوم عروسه تلدا

دريني خشبة



المهرجانات الأدبية فى موكب الزفاف الملكى

كان زفاف الفاروق الميمون موسماً من مواسم الأدب والشعر، اهتمت له جميع الهيئات الرسمية وغير الرسمية، فأعدت الحفلات الحافلة، وأقامت المهرجانات الفخمة، وتبارى الشعراء والخطباء فى وصف اليوم الرائع وكلهم مجيد محسن. فأقامت جمعية الشبان المسلمين حفلة شائقة افتتحها الأمير عمر طوسون بكلمة طيبة، وأقامت اللجنة الأهلية مهرجاناً رائعاً فى دار الأوبرا تكلم فيه نخبة طيبة من رجال المواهب فى الشعر والخطابة، وأقامت الجامعة الأزهرية حفلا مهيباً حضره رئيس الوزراء وخطب فيه شيخ الأزهر وكثير من الأعلام، وإنما كان أروع وأفخم جميع الحفلات والمهرجانات ذلك المهرجان الكبير الذى أقامته وزارة المعارف فى دار الأوبرا الملكية فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الاثنين الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٣٨ م، فقد حضره مندوب جلالة الملك، وألقى وزير المعارف كلمة الافتتاح، ثم تعاقب على منصة القول حضرات الأساتذة الشعراء على الجارم وخليل مطران ومحمد الهراوى وعلى محمود طه، والأساتذة الخطباء عباس محمود العقاد وأحمد أمين وابراهيم المازنى وعبد العزيز البشرى. وقد زاد فى روعة المهرجان وأفاض عليه روح الفكاهة والبهجة أن الخطباء والشعراء عُرضوا على الجمهور عرضاً مسرحياً فكاهياً ضمن صورة تاريخية مسرحية لمجالس الشعر والأدب فى عصر الرشيد وضعها الأستاذ توفيق الحكيم وهى فكرة طريفة لم يسبق إبداعها فى مثل هذه المناسبات، وقد صدحت فرقة الهواة الموسيقية تحت رياسة الدكتور الحفنى بالأنغام العذبة الشجية فى البدء والختام

متحف فلسطين

افتتح أخيراً فى بيت المقدس متحف عظيم، قد يغدو فى المستقبل القريب المتحف الثانى فى الشرق الأدنى من حيث أهميته الأثرية بعد متحف القاهرة، ولهذا المتحف قصة ترتبط أيضاً بذكر متحف القاهرة؛ ففى سنة ١٩٢٣ عرض المثرى الأمريكى الشهير روكفلر كما نذكر، على الحكومة المصرية هبة مالية عظيمة لبناء متحف مصرى عظيم، ولكن الحكومة المصرية اعتذرت من قبول هذه الهبة نظراً لما اقترن بها من شروط غير مقبولة؛ فعندئذ تدخل بعض علماء الآثار فى الأمر وفى مقدمتهم العلامة الأستاذ برستيد، وتوسطوا لدى المثرى روكفلر فى أن يحول مشروع الهبة إلى حكومة فلسطين، فنزل عند هذه الرغبة وقدم إلى الحكومة الفلسطينية هبة قدرها مليونان من الدولارات (أربعمائة ألف جنيه) لبناء متحف عظيم فى فلسطين يضم آثار الأرض المقدسة؛ وتبرعت الحكومة بالأرض التى يقام عليها المتحف وهى تبلغ نحو عشرة فدادين تقع فى الجانب الشمالى الشرقى من المدينة وتشرف على جبل الزيتون، وقبة الصخرة، وربى شرق الأردن

وأقيم المتحف فى هذا الموقع التاريخى على أحدث الأصول الفنية، وقسم إلى أروقة تظللها حنيات معقودة، وأقيمت فى شماله حظيرة بها فسقية عربية جميلة؛ ونظمت أروقته تنظيما تاريخياً لتكون معرضاً لتاريخ فلسطين فى جميع أطواره، وجمعت فيه كل الآثار التى وجدت فى فلسطين حتى اليوم، ومنها آثار العصر البرنزى حتى عصر الكنعانيين. وسيخصص فيه قسم لعرض الزخارف العربية التى استخرج معظمها من أطلال قصر هشام ابن عبد الملك التى اكتشفت أخيراً بالقرب من أريحا، وقسم آخر للتحف المصرية الآشورية، وهكذا. وقد فتح للجمهور رواق واحد هو الذى يضم آثار العصر البرنزى؛ وذلك حتى يتم تنظيم الأقسام الأخرى

وقد أثار افتتاح هذا المتحف الجديد اهتماماً فى الدوائر الأثرية والمعتقد أنه سيكون الى جانب آثار بيت المقدس التاريخية عاملاً جديداً فى إغراء السياح من أنحاء العالم على زيارة الأراضى المقدسة

حرب الأثير

يشهد العالم اليوم أغرب حرب عرفت فى التاريخ فهى ليست صراعاً بين الجيوش والقوى المادية ، بل هى صراع بين وسائل الدعاية لغزو أعظم حشد ممكن من العقول والقلوب . ولم يبق الراديو أداة للدعاية القومية أو المحلية فقط بل غدا أداة للدعاية العالمية يرسل أمواجه فيما وراء البحار إلى مختلف الأمم ؛ فمن محطة بارى الإيطالية تسمع الأمم العربية منذ أعوام خطباً عربية فى مختلف الشئون وتسمع أنباء العالم بالعربية وتسمع الموسيقى العربية ؛ ولم يكن القصد من ترتيب هذه البرامج العربية فى محطة إذاعة أوروبية إمتاع الأمم العربية فقط أو تحرى غايات ثقافية ، بل رتبت بقصد التأثير فى عقول السامعين وتوجيههم إلى ناحية معينة من التفكير السياسى . ومنذ أسابيع قلائل أنشئت في لندن محطة للاذاعة العربية تنحو نحو المحطة الايطاليـة فى إذاعة الخطب والمحاضرات والموسيقى العربية من العاصمة الانكليزية ؛ ومع أنها أنشئت فى الحقيقة لمقاومة الأثر الذى تحدثه محطة بارى فى نفوس الأمم العربية ، فإنها لم تسلك سبيل الدعاية المفرقة ، على أنها تؤمل على أى حال أن تلطف من هذا الأثر الذى اعتبر فى لندن ضاراً بهيئة انكلترا وسمعتها فى الأمم العربية . والذى يلفت النظر فى أمر هذه الحرب الأثيرية الغريبة هو العبرة التى يمكن للأمم العربية أن تستخلصها منها ؛ فهى فى كلتا الحالتين الميدان المختار لاحداث الأثر والآثار المنشودة ، وهى المقصودة بالتوجيه والتحريك ، ولا ريب أن الأمم العربية ليست من الغفلة بحيث يفوتها هذا الاعتبار

فى مجاهل التركستاله

عاد أخيراً إلى ألمانيا العلامة الرحالة الألمانى الدكتور فلشر بعد رحلة خطرة فى مجاهل التركستان دامت أربعة أعوام ، واستقبل فى برلين بحفاوة عظيمة ؛ وكان قد بدأ رحلته فى سنة ١٩٣٤ ، وذلك بقصـد استكشاف الخواص المغنطيسية والمعدنية للمنطقة الشاسعة التى تقع بين الصين والهند ، فقصد إلى نانكين ومنها إلى التركستان فى قافلة مؤلفة من زميل له وستة من الصينيين وأربعين جملاً ، ولقى من الصعاب والمتاعب مالا يوصف من اعتداء قطاع الطريق وتمرض رفاقه ، والمرض المتكرر والحر المرهق . ولما وصل إلى خوتان قبض عليه الحاكم وألقاه مع رفيقه فى السجن وصادر ما يحملانه من الآلات الفلكية والعلمية ؛ ولبثا فى السجن ستة أشهر ، ثم أفرج عنهما أخيراً بتدخل ممثل انكلترا ؛ فاستأنفا رحلتهما إلى « لى » بعد أن عبرا جبال الهملايا الشامخة

وأنفق الدكتور فلشر أربعة أعوام فى الدرس والاستكشاف وفى رأيه أن هذه المناطق غنية بالبترول ولا سيما فى شرق التركستان حيث تبدو آثار الزيت ماثلة فى مياه الأنهر ، كذلك هناك مايحمل على الاعتقاد بوجود الذهب في سهل كشغر نظراً لأن الأهالى يحرزون كثيراً من تراب هذا المعدن النفيس

وقد زار الدكتور فلشر هذه المناطق من قبل فى سنة ١٩٠٣ حيث سافر من طشقند فى التركستان الروسية إلى منغوليا وكنسو ، وفى سنة ١٩٢٦ عاد إلى طشقند وسار منها إلى تنجار ، ثم عاد الى الهند بطريق كشمير ، فهو بذلك من العلماء الخبيرين بهذه المنطقة وخواصها

نسائم الأستاذ الجارم

الأستاذ على الجارم الأديب الكبير وخليفة (شوقى) فى مصر عند طائفة يقول فى لاميته فى المهرجان الملكى :

يفديه غصن الدوح ريان ناضراً   إذا اهتز فى كف النسائم مائله

فجاء بالنسائم جمعاً للنسيم أو للنسمة ، والمعروف أن جمع نسيم أنسام وجمع نسمة نَسم وسالمها نسمات ، ولم ترد هذه (النسائم) فى كلام إسلامى أو مولد . دع عنك المخضرم والجاهلى ، والمتأخر والعصرى ما هما حجة

(الاسكندرية)   (***)

مخطوط للموسيقى موتسارت

ظهرت أخيراً تحفة أثرية جديدة للموسيقى الأشهر موتسارت هى عبارة عن مذكراته التى كانت يكتبها (بالألمانية) عن حياته وتآليفه الموسيقية فى مذكرة جيب صغيرة ، وقد كانت هـذه التحفة فى حوزة أحد الهواة الانكليز ، فعمل أخيراً على تصويرها ، وطبعها أحد الناشرين الانكليز ، ولم يغير شيئاً فيها بل نقلها كما هى فى لوحات (أكليشهات) مصورة ، وبذلك يستطيع القارىء أن يقرأ فيها محتوياتها بخط الموسيقى نفسه

وفاة مستر كيلوج

ليس فى الدنيا رجل محب لسلام العالم لا يعرف مستر كيلوج صاحب الميثاق المعروف باسمه لعدم اتخاذ الحرب وسيلة لحسم المنازعات التى تحدث بين الدول ... هذا الميثاق الذى حمل غصن الزيتون طويلا والذى أقرته الدول قاطبة ، وكانت اليابان ثم إيطاليا أول من جعله قصاصة ورق لا قيمة لها من حيث القيمة الفعلية ...

مات مستر كيلوج فى ٢٢ ديسمبر الماضى فى سن الحادية والثمانين بعد حياة موفورة مليئة بجلائل الأعمال ... حياة غالية غزيرة الحب للإنسانية ، هى المثل الأعلى لما يجب أن تكون عليه حياة العظماء العصاميين فى كل زمان ومكان

ولد كيلوج فى ديسمبر سنة ١٨٥٦ من أبوين فلاحين وعمل فى المزرعة مع أبيه ثم تردد على مدرسة أولية تعلم فيها القراءة والكتابة ورشف قدراً تافهاً من المعلومات البسيطة أغراه بالدراسة العالية بطريق المراسلة والانتساب من الخارج حتى نال إجازته التى فتحت له باب المجد على مصراعيه فما زال يرقى من منصب إلى منصب حتى عين سنة ١٩٢٤ سفيراً لبلاده (الولايات المتحدة) فى لندن وفيها سعى حتى عقد ميثاقه ضد الحرب بين الدول ثم نقل إلى واشنطون ليظل سكرتيراً للجمهورية طوال رئاسة مستر كوليدج (١٩٢٥ — ١٩٢٩) ثم عين قاضياً لمحكمة (الهاج كورت) ...... وهكذا كانت حياته سلسلة من المفاخر سيزهى بها اسمه على اسكندر قيصر روسيا وولسن رئيس أمريكا وغيرهما من خدام السلام

صومبارت والوطنية الاشتراكية

أفلحت النازية — أو أفلحت الاشتراكية الوطنية الألمانية — فى خلق فلسفة جديدة ثابتة الدعائم هي الآن ألد أعداء الماركسية أو بالأخرى الشيوعية ، وقد كتب العلامة فرنر صومبارت Werner Sombart كتابه العظيم (فلسفة جديدة اشتراكية Deutsche Sozialismus فلفت إليه الأنظار بما تناول به كتاب كارل ماركس (الرأسمالية الحديثة) من النقد المر والتجريح البارع ، وقد ارتفع العلامة صومبارت بكتابه هذا إلى مرتبة هيجل فى الوطنية الألمانية ، والألمانيون يتخذون من كتابه إنجيلاً جديداً يذكى فيهم روح المطامع العالية التى نفختها فيهم النازية والتى نفخها فى أسلافهم هجل من قبل . وصومبارت يدعو إلى فلسفة إيجابية تأتى من الله مباشرة ، فلا تعرف هذه الطريق الملتوية المكتظة بالوسطاء من قسس وأحبار ودهاقين ؛ وهذا هو الذى أثار عليه الكنيسة وخلق منها عدوًّا داخليًّا لألمانيا النازية ، بل هو أيضاً ما ألب الألمان على اليهود وحفزهم إلى طردهم خارج الوطن الألمانى المقدس لأن النازية لا تمنى بشىء أكثر مما تعنى بالوحدة فى كل شىء

تاريخ ابن حيان

صدر أخيراً القسم الثالث من الجزء الذى انتهى إلينا من تاريخ ابن حيان مؤرخ الأندلس مطبوعاً بعناية بعض المستشرقين وقد نشر هذا الجزء بأقسامه الثلاثة عن مخطوط وحيد تحتفظ به مكتبة « بودليان » الإنكليزية ؛ وتبدو نفاسته وأهميته متى علمنا أن مؤلفه أبو مروان ابن حيان هو أعظم مؤرخى الأندلس المسلمة ؛ وهو جزء من تاريخه الشهير المسمى « المقتبس فى تاريخ الأندلس » وفيه يستعرض تاريخ الأندلس منذ الفتح إلى أوائل الطوائف ، ويعنى عناية خاصة بترجمة العلماء ، ويتعلق الجزء المنشور بعهد الأمير عبد الله الأموى (٢٧٥ — ٣٠٠ هـ) وهو عصر من أخطر عصور الدولة الأموية ، وفيه كانت ثورات الأندلس الشهيرة ومنها ثورة ابن حفصون أعظم ثوار الأندلس ؛ هذا ويظن بعض العلماء المطلعين أن كتاب « المقتبس » بأكمله لم يفقد نهائياً ، وأنه ربما وجدت منه نسخة فى بعض مجموعات المغرب ؛ خصوصاً وأنه كان حتى القرن الحادى عشر الهجرى مرجعاً للكتاب المتأخرين ومنهم المقرى

مقدمة ابن خلدون بالفرنسية

منذ نحو قرن وضع المستشرق الفرنسى البارون دى سلان ترجمة فرنسية لمقدمة ابن خلدون ، صدرها بترجمة لحياته مشتقة مما كتبه ابن خلدون نفسه عن حياته فى « التعريف » وقد لبثت هذه الترجمة عمدة المستشرقين حتى يومنا ؛ وقد فكر لفيفهم فى إعادة طبع هذه الترجمة وتنقيحها وإخراجها فى ثوب جديد ؛ وبالفعل صدرت أخيراً طبعة جديدة لترجمة دى سلان تفضل الترجمة القديمة بكثير ، وهى كالقديمة فى ثلاث مجلدات كبيرة ، منقحة مهمشة ذات فهارس جديدة



فى منزل الوحى

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

لعل فريضة من فرائض الإسلام وشعائره لم تخدم الثقافة الإسلامية ، وتنفع الأدب العربى كما خدمت في ذلك فريضة الحج وأفادت ، فإن جل الذين كتبوا الرحلات ، وألفوا فى التاريخ الإسلامى خصوصاً تاريخ بلاد العرب ، ووصف طبيعتها وجغرافيتها وتقويمها ، هم من الذين كانوا يقصدون إلى أداء الفريضة المقدسة ، وزيارة الروضة المطهرة . وكتاب « فى منزل الوحى» إنما هو أثر من تلك الآثار التى فاض بها الشعور الإسلامى ، والاتجاه الروحى نحو تلك البلاد الطيبة التى تنزع إليها النفوس ، وتهفو نحوها الأرواح ، وتطمئن بذكرها القلوب . وقد وصف المؤلف الفاضل كتابه وتحدث عن القصد الذى قصده من تأليفه فقال : « وليس هذا الكتاب مرجعاً من مراجع التاريخ الإسلامى ، ولاشىء فيه من تقويم بلاد العرب ، إنما هى وقفات وقفتها فى بلاد الوحى ومنزله ، أستوحى فيها مواقف محمد عبد الله ونبيه ورسوله ، وهناك فى هذه المواقف تجردت نفسى وسمت روحى وكرت بالعصور والقرون أطويها ، ورحت أتمثل هذا الهادى الكريم ، وأتمثل المسلمين من حوله ، ألتمس فى ذلك الأسوة والعبرة ، آملاً أن أشرك فيهما إخوانى المؤمنين بالله ، وبما جاء من عند الله . لم أتقيد فى هذه المواقف بما جاء فى كتاب غير كتاب الله الكريم ، ولم أخضع تفكيرى لحكم غيرى ، وما كان لى أن أخضعه ، فقد كنت أحس فى كثير من هذه المواقف أننى بين القوم أسمع وأرى ، وأتمنى لو كنت أجاهد معهم ، فأفوز فوزاً عظيما ، وما كان لى أن أفعل ثم أخدع نفسى فأزعم أننى إذ أحدث الناس إنما أقص عليهم ما رأيته وما أحسست به في حين لا أقص إلا ما رآه غيرى ، وما سبقنى إلى تسطيره . لقد تركت نفسى على سجيتها تتوجه بوحى روحى ، وتستلهم الحق مما حولى ، وتستعرض ما تستلهمه على حكم عقلى وتقدير ضميرى ، ثم سطرت ما اجتمع من ذلك لا أبغى به إلا رضا الله »(١)

هذا كلام المؤلف الفاضل فى وصف كتابه ، وهو كلام ، على ما أرى ، فيه شىء من التواضع يغطي جانباً من الحق ؛ وقد تكون هذه نية الدكتور هيكل فى تأليف كتابه ، أراده على أنه « ليس مرجعاً من مراجع التاريخ الإسلامى ولا شىء فيه من تقويم بلاد العرب وإنما هى وقفات فى بلاد الوحى ومنزله » ولكنه على ما يظهر غلب على أمره فجاء كتابه مرجعاً من مراجع التاريخ الإسلامى ، وجاء خير دليل يجب أن يصحبه كل راحل إلى تلك البلاد ، وجاء أيضاً من أهم التقاويم لكثير من الأماكن فى بلاد العرب ، ثم جاء مشروع إصلاح قويم يهم من يهمهم « العناية بهذه البلاد المقدسة ودراسة حاضرها وماضيها دراسة علمية دقيقة ، وما يدعو المفكرين والساسة أولى العزم ليعملوا على إصلاح هذه البلاد »(٢) ، ثم هو نفحة روحية من أثر الرسول الكريم فاض بها قلب خافق وشعور دافق . فإذا كانت نية الدكتور هيكل على ما ذكرنا من قبل ، فلا شك أنه قد غلب على أمره ، وتجاوز رغبته فى إخراج كتابه ، وتحديد الموضوع

(١) ص ٢٠ من الكتاب

(٢) ص ٢٩ من الكتاب

الذى أراد أن يجرى فى حلبته ؛ وهو تجاوز قد اقتضته طبيعته ، ودفعته إليه صناعته ، فكان ذلك من حظ العربية وحظ قرائها وحظ رواد تلك البلاد المقدسة

نعم ! هو تجاوز اقتضته طبيعة هيكل ، لأن هيكلا كما نعرف صحافى ، والصحافى من طبيعته لا يقف عند شئ ولكنه يجب أن يقف على كل شئ ؛ ثم هو أديب دقيق الشعور وافر الإحساس يتأثر ويهتاج لكل ما يراه ويقع عليه حسه ، فإذا وصف أضفى على وصفه الإحساس والشعور وخلقه خلقاً حياً كله الروعة والجلال ؛ ثم هو عالم ناقد ينظر إلى كل شئ بعين فاحصة ، وفكر صائب وتقدير سديد ، وهذه الغريزة فى نفسه هي التى جعلته يقول ما يقول عن حق « إن لحكمى المكان الأول من الاحترام عندى ، وإذا لم يكن من حسن القصد أن نعجل بالحكم قبل أن نطمئن إليه وقبل أن تتم بين أيدينا أسبابه ، وكانت العجلة طيشاً غير جدير بمفكر يحترم عقله فليس من حسن القصد ولا من احترام المفكر عقله أن ينحل نفسه حكم غيره قبل أن يمحصه حتى يطمئن ضميره إليه ، ومن الجمود الذى لا يقاس إليه طيش أن نأبى تقليب الأمور على وجوهها جميعاً حتى نطمئن إلى بلوغ غاية ما نستطيع من الحق فيها [1] »

وأحب لك أن تتأمل الكتاب بنفسك ، وأن تصحب مؤلفه الفاضل من « عزم السفر » حتى « أوبة الرضا » فستقضى فى ذلك سفرة سعيدة ، ورحلة طيبة ، يسعد فيها عقلك بكثير من العلم والمعرفة ، ويفوز منها قلبك بكثير من البهجة والانشراح ، وتطيب بها روحك على خير ما تطيب به الأرواح من ذكر الماضى وأثر الدين ؛ غير أنى أحب لك أيضاً أن تكون صبوراً مع هيكل ما وسعك الصبر ، إذ تراه يسير سيراً بطيئاً فيقف بك عند كل أثر من آثار الرسول ، ينبش الماضى ، ويسأل التاريخ ، ويفحص المعالم ، ويستوحى الروح ، ويحكم العقل ، ويقارن بين ما يرى وما يسمع ، فإذا طفت معه مثلاً فى أنحاء مكة الحديثة ، فكن شديد الاحتمال إذ تراه يدخل بك فى كل زاوية ، وينعطف بك على كل ثنية ، وينحدر بك إلى كل مغار ، ويرتفع بك إلى كل نجد ، ويدفعك دفعاً حتى بين النؤى والأثافى ، والأحجار والصخور ، ويقف بك عند كل أثر ظاهر ، وكل مظهر قائم .

وإذا ما صحبت هيكلا مثلاً إلى أسواق العرب فاصبر إذ تجده يطيل عليك فيحدثك عن الأسواق الثلاث فى العهود القديمة ، ويتلمس لك موقع المجنة وموقع ذى المجاز ، ويكشف لك عن أسباب الخصومة فى الأسواق العامة ؛ ثم يحدثك عما كان يجرى فى عكاظ وعن موقف النبي صلى الله عليه وسلم فى تلك السوق ، ثم يسرد الأقوال التي قيلت فى ذلك من قبل محاولاً أن يطبقها على ما يرى وأن يقيسها بمقياس العقل . نعم أحب لك أن تكون صبوراً مع هيكل إذا رأيته فى جميع المواقف يبحث ويتقصى ويطيل النظر والتأمل فإنه إنما يقف بك على آثار ومعالم لحياة قوم ملأوا الدنيا بمجدهم ، وأسعدوا العالم بهديهم ، وأفعموا التاريخ بذكرهم .

أما نفس هيكل فى هذه المواقف فهى نفس مطمئنة يقول هو عنها بأنها « قد سمت إلى حيث لم تسم من قبل قط [1] » وهو يحدثك عن شعوره فى ذلك فيقول : « رأيت نور الله ماثلاً فى كل دقيق وجليل من خلقه ، ورأيت آية الهدى متجلية يشهدها كل من أراد أن يفتح لها قلبه وبصيرته ، ورأيت سنته فى الكون تبتدى لكل من أخلص إلى الحق وجهة ثابتة لا تبديل لها ، رأيت هذا كله رأى العين ، وآمنت به إيمانى بما يقع عليه حسى ، وما تلمسه يدى ، وأيقنت أن العلم بهذا كله هو الحياة الراضية المرضية [2] »

وما نفس هيكل فى ذلك وشعوره إلا طراز من النفس السامية على حقيقتها ، ونمط من الروح الشرقية التى تمجد الدين أبداً ، وتقدس المعنويات أبداً ، إذ ترى سعادتها فى الروحيات أكثر منها فى الماديات

والظاهر أن هيكلا فى حياته الروحية الجديدة قد اتصل بالقرآن اتصالاً وثيقاً ، وتغذى بألفاظه وأسلوبه كما تغذى بمعناه وروحه ، وإنك لتلمح أثر ذلك واضحاً جلياً فى تعابيره خصوصاً إذا ما تحدث عن معانى الإسلام تعمر القلوب ، وسمو الإيمان يغمر الأرواح والنفوس . انظر إليه وهو يصف الحجاج محرمين فى طريقهم إلى مكة فيقول : طبع هذا المنظر أعمق الأثر فى نفسى

(١) ص ٢١ من الكتاب

(١) و (٢) ص ٦٢٧ من الكتاب

فهذه القوافل من المشاة والركبان تقصد إلى غاية واحدة وترجو في ربها الرجاء الأسمى ... ليس يذكر أحدهم ماله من ثروة أو جاه أو ولد ، وإنما يذكر أنه هو وهؤلاء المسافرين معه إخوة فى الله وأنهم جميعاً قد أتوا قاصدين بيته ، ملبين داعيه ، ليشهدوه على أنفسهم وليطهروا بين يديه مما قدمت أيديهم ، وليبدؤا بذلك حياة جديدة يبتغون فيما أتاهم الله الدار الآخرة ، ولا ينسون نصيبهم من الدنيا ويحسنون كما أحسن الله إليهم ، ولا يبغون الفساد فى الأرض . لهذا جاءوا من كل فج عميق ، ولهذا ركبوا البر والبحر واستهانوا بالشقة ونسوا كل شيء إلا الله ، ولهـذا أحرموا آية إخائهم ومساواتهم إيذاناً بأن أقربهم إلى الله أتقاهم ، ومظهراً لميلادهم الروحى الجديد ، ليتخذوا من هـذا الميلاد عدتهم لحياة جديدة ، ولهـذا تتصل قلوبهم وإن اختلفت أجناسهم وألوانهم ولهجاتهم ، وهم يعبرون عن هذا الشعور بالتلبية تنفرج عنها شفاههم فى حبور وغبطة مطمئنين إلى رحمة الله ومغفرته ، إنه يغفر الذنوب جميعاً ، لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء(١)

فهيكل كما ترى مولع بآيات القرآن يقتبسها لأسلوبه ؛ ويقحمها فى عباراته ، ويستخدمها استخداماً طلياً منسجماً يدل على مهارة وتمكن . ولقد بلغ من ولعه بألفاظ القرآن أن آثر كلمة « طوع » على مرادفتها فى الاستعمال ، فعبر بها مراراً إلى حد يلفت النظر ، حتى أنه ليستخدمها فى مواضع قد تكون مرادفاتها أولى بها ، وقد لا تؤدى المعنى إلا على شيء من التسامح ، ولكن هيكلاً يؤثرها لأنها لفظة قرآنية فهى حلوة سائغة . وإن من العجيب حقاً أن يؤثر هيكل ألفاظ القرآن كل هذا الإيثار ، وأن ينتفع بأسلوبه إلى هذا الحد الذى يفوق فيه أولئك الذين شبوا على مدارسة القرآن ، وقضوا أعمارهم فى مزاولة عباراته والبحث فى نصوصه على حين أنه قد نشأ نشأة مدنية كما يقولون ، وتثقف ثقافة تتصل بالغرب أكثر مما تتصل بالشرق ، وما آثاره الأولى إلا لون من ألوان تلك الثقافة الأجنبية . وإنما يسر لهيكل أن يندمج فى حياته الروحية كل هذا الاندماج ، وأن يتصل بثقافة القرآن وأسلوبه كل هـذا الاتصال ، أنه ذو موهبة فنية ، وطبيعة أدبية صافية ، والأديب إذا ما صفت طبيعته ، وخلصت نفسه ، ينطبع على الحياة التى يريدها وكأنها حياته التى تعودها حياته ، ويفنى فى البيئة التى يلابسها فإذا هو صورة قوية رائعة لما فيها من الألوان والمظاهر ، ويخضع حواسه فى الانفعال للفكرة يريد تنفيذها فينجلى لك صادق الأحساس صحيح الغرض ، وهذا هو السر فى أنك ترى الكاتب أو الشاعر يدرج بين صخور البادية وعلى أشواكها فتلمح فى أسلوبه وتفكيره الشدة والجفوة ، ثم ينتقل إلى مطارف الحضارة فاذا به هين لين مذلل الفكر يجرى أسلوبه فى مثل رقة الماء والهواء . وهذا هو السر أيضاً فى أنك ترى الكاتب أو الشاعر يحدثك مثلاً عن البؤس فيجيد الحديث على أنه ليس ببائس ، ويقول فى النسيب والغزل فيملك عليك نفسك مع أنه ليس بغزل ولا محب ، فكيف بذلك الأديب أو الشاعر إذا كان صادق العاطفة ، خالص الرغبة ، صافى النفس والروح كهيكل فى حياته الجديدة ؛ لا شك أنه يكون شيئاً كبيراً ، ويكون أثره أثراً قوياً رائعاً كهيكل « في منزل الوحى »

وأما بعد فقد أطلت على القارئ ، ولنا وقفة أخرى مع « هيكل » فى منزل الوحى سيرى القراء فيها لوناً طلياً من ألوان الفكر الروحى الذى يحترم العقل ويمجد الحق

محمد فهمى عبد اللطيف

(١) ص ٦١ من الكتاب



محنـــة المسرح

بقلم محمد على ناصف

تساءلنا فى العدد الماضى عن مصير المسرح بعد طغيان السينما واجتذابها أنظار الأدباء والفنانين فضلاً عن توطد مكانتها بين الجماهير

وقبل أن نجيب على هـذا السؤال دعنا نستمع إلى حديث لأدولف زوكور كبير مؤسسى شركة براموت السينمائية لعله يغنى أو يمهد للجواب

يقول زوكور لأحد الصحفيين الأمريكيين : « إن شركته متعاقدة مع ٨٣ ممثلا وممثلة ، منهم ٦٤ أتوا عن طريق المسرح والباقون خمسة أطفال ، وأربعة من محطات الاذاعة ، واثنان من الأوبرا ، واثنان من الأندية الليلية ، واثنان من الفرق الموسيقية وآخران عن طريق المسابقات الصحفية ، وواحد من الألعاب الأولمبية ، وآخر من أحد معاهد التمثيل ! ! »

فالغالبية الكبرى إذن قد تخرجت على المسرح ، وأكثر الباقين قد كسبوا كذلك خبرة تمت إلى المسرح بصلة

وليست هذه الحال فريدة بأمريكا ؛ فان المسرح في كل بلد يمد السينما بحاجتها من الممثلين ... كما أن له نصيباً كذلك من تقديم طائفة من كبار المخرجين السينمائيين أمثال رينهاردت ولوبتسن وماموليان وديتريل وغيرهم

نستخلص من ذلك أن تغذية السينما بحاجتها من الفنانين إنما هى خطوة تالية لنهوض كفايات مسرحية

ولكنا إذا نظرنا إلى حديث أدولف زوكور من ناحية أخرى فماذا نستخلص من وراء قوله إنه متعاقد مع ٨٣ منهم ٦٤ من المسرح ؟

أو ليس معنى ذلك أن السينما تجرد المسرح من قواه وكفاياته ، وأن المسرح أصبح وسيلة أو قنطرة عبور إلى السينما ؟

أجل ، هنا يتكشف الستر قليلا عن محنة المسرح ، فاذا سفرت حقيقـة تلك المحنة ، فانما هى كلمة تضئ بنور يخطف الأبصار : « المال »

المال هو الذى يسلب المسرح جاهه ويقلم أظافره

المال هو الذى يخلب بريقه ألباب الكتاب والممثلين والفنانين فيجذبهم من أنوار المسرح الباهتة إلى أنوار الأستديو الساطعة

والواقع أن هؤلاء الأمريكيين لا يحسبون حساباً للمال ، أو أنهم يحسبون حساباً عجيباً ؛ ففى العام الماضى ابتاع هارى



أدولف زوكور — رأس شركة براموت

كوهين صاحب شركة كولومبيا حقوق إحـدى المسرحيات الناجحة ببرودواى You Canit Take Et With You بمبلغ ٤٠٫٠٠٠ جنيه ، نعم أربعين ألفاً ، وكان هذا رقماً قياسياً شاءت شركة راديو أن تكسبه لنفسها فدفعت خمسين ألفاً من الجنيهات فى مسرحية آبوت Room Service

وقبل ذلك بعام دفع سام جولدوين ١٦٠٫٠٠٠ دولار إلى سنكليرلويس فى روايته Dodsworth التى شهدناها فى الموسم الماضى .

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى قد يعتبرها المرء أمثلة لشغف هؤلاء القوم بالبذخ والاسراف

فأى كاتب يستطيع أن يحمل نفسه على الاقتناع بعد ذلك بما يقـدمه له الناشر أو القارئ ؟ أى كاتب لا يحلم الآن بمجد هوليوود ومال هوليوود ؟ إن عمل الكاتب فى الفيلم يذاع أكثر من عمله فى المطبعة بمئات المرات، فضلاً عن هذه الآلاف من الجنيهات

لقد طالب محصلوا ضريبـة الدخل فى أمريكا ب . ج . وودهاوس أحد كتاب السيناريو بمبلغ ٥٠٫٠٠٠ جنيه ... فإذا كانت هذه ضريبة دخل ، فكم بلغ إذن دخل الرجل ؟ !



ماكس ريتهاردت
يدرب جان موير على مشهد بفيلم « حلم منتصف ليلة صيف »

ويستوى فى التمثيل هنا المخرجون والممثلون ؛ فإن ماكس



هيلين هايز
التي اعتزلت السينما وهى فى أوج مجدها

ريتهاردت عاهل المسرح الكبير رأى تلامذته فى هوليوود يثرون ويشتهرون من الأفلام ، وهو باق فى ڤينا يشهد ركود المسرح ، رأى إيرڤنج تالبرج يتقاضى أسبوعيًّا من شركة مترو ٢٫٤٠٠ جنيهاً مع ١٠ ٪ من أرباح الشركة ، ورأى المخرج العادي يأخذ في الفيلم الواحد عشرين أو ثلاثين ألفاً من الجنيهات فلم يطل انتظاره وحزم أمتعتـه ورحل إلى هوليوود فأخرج « حلم منتصف ليـلة صيف » وهو يأخذ عدته الآن لإخراج فيلمه الثانى « وانتون »

وأبهظ الأجور فى أمريكا من نصيب ممثلى السينما ، فقـد أصبح من الأمور العادية أن يأخذ الكوكب من الفيلم الواحد خمسين ألف جنيه ، ومثل هذا الأجر كفيل باقتلاع أى ممثل من فوق خشبة المسرح

فاذا استثنينا القليل من الممثلين الذين لا تستعبدهم تماماً شهوة المال فيقسمون أوقاتهم بين العمل فى المسرح والعمل فى الاستديو مثل والترهاستون وهنرى فوندا ومثل هيلين هايز التى تركت الشاشة وهى فى أوجها ، وبعد أن اكتسبت التمثال الذهبى من أكاديمية الصور والفنون لأحسن ممثلة سينمائية فى أول فيلم مثلته — إذا استثنينا مثل هؤلاء فانا لا نغالى إذا قلنا إن الدولار هو الذى هزم المسرح

محمد على ناصف

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧